



أسباب تفوق الصحابة رضي الله عنهم في ضبط الحديث

الدكتور
سلطان سند العكايلة
و
الدكتور
(محمد عيد) محمود الصاحب

كلية الشريعة
الجامعة الأردنية



دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

رَفْعُ

عبد الرَّحمن النَّجْديّ

أسكنه الله الفردوس

أسباب تفوق الصحابة رضي الله عنهم في ضبط الحديث

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٩/١٠/٧١٢)

٢٣٠
العكايلة، سلطان سند
أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث
/سلطان سند العكايلة، محمد عيد محمود
الصاحب.- عمان: دار ابن الجوزي، ٢٠١٠.
(٨٦) ص
ر.أ.: (٢٠٠٩/٢/٧١٢).
الواصفات: /الحديث// /

- أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

دار ابن الجوزي

أسبابُ تفوّقِ الصّحابةِ ﷺ في ضَبْطِ الحَدِيث

الدكتور
سلطان سند العكايلة

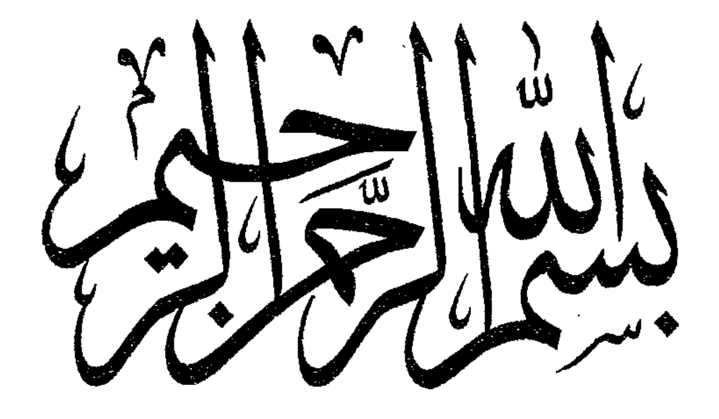
و

الدكتور
"محمد عيد" محمود الصاحب

كلية الشريعة
الجامعة الأردنية

أصل هذا الكتاب بحث تم نشره في مجلة دراسات لعلوم الشريعة والقانون، مجلد (٢٥) عدد (٢)، كانون أول ١٩٩٨م بالجامعة الأردنية

دار ابن الجوزي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فإن السنة النبوية تتعرض بين الحين والآخر للطعن فيها والنيل منها؛ ويتنوع هذا الطعن؛ فيكون تارة موجهاً لنصوص الأحاديث، ويكون تارة أخرى موجهاً للوسائط التي تم بها نقل الأحاديث، وبخاصة الحلقة الأولى في سلسلة الإسناد، وهم صحابة رسول الله ﷺ .

وقد كان القصد من هذا البحث سدّ ثغرة يتسلل منها أعداء السنة المطهرة منذ القديم؛ في محاولة يائسة لزعزعة كيانها وانتزاع هيبتها من صدور المسلمين. ويبدو أن مسألة إجراء أحكام الجرح والتعديل على أشخاص الصحابة الكرام كانت قديمة، اتخذها خصوم السنة ذريعة لتحقيق أهدافهم تلك؛ وقد تصدى الحافظ ابن حبان رحمه الله للردّ على أولئك الجاحدين، حيث قال:

"فإن قال قائل: كيف جرحت من بعد الصحابة، وأبيت ذلك في الصحابة، والسهو والخطأ موجود في أصحاب رسول الله ﷺ كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين؟" [1] .

فكان جوابه عن هذه الشبهة وردّها بالأدلة القوية من الكتاب والسنة، والحجة التي يقتضيها العقل البريء من الزيغ والزغل، غير أنه رحمه الله سرعان ما انتقل بعقل القارىء إلى مسألة عدالة الصحابة، فبقيت الثغرة تحتاج إلى من يسدّها بإحكام، سيما وأن التشكيك في ضبط الصحابة أصبح يأخذ في عصرنا هذا بعداً خطيراً.

وقد اقتضى الواجب منا في هذا البحث أن نعرف الضبط تعريفاً شاملاً، وأن نبين بجلاء نوعيه: ضبط الصدر، أو ما يعرف بالذاكرة، وضبط الكتاب، وأن نذكر بشيء من التفصيل أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث؛ فكان منها أسباب تخصهم دون غيرهم من الرواة، وأسباب أخرى يشتركون فيها مع غيرهم ممن تصدى لرواية الحديث.

وقد ميزنا من هذه الأسباب ما كان فيه أثر واضح لشخص رسول الله ﷺ في إكساب الصحابة الكرام التفوق في هذا

---

(١) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار السوعي، حلب، ط ١، سنة ١٣٩٦، م ١، ص٣٣.

المضمار. وفي ثنايا ذلك يلمس القارئ الفرق بين الأسباب العملية لضبط الحديث عند الصحابة، والأسباب المعنوية الأخرى التي خصّهم الله عز وجل بها.

وكان الوقوف على هذه الأسباب قد أفضى بنا إلى الإقرار الحذر بأن الصحابة ﷺ قد يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الناس من الخطأ والنسيان؛ ولكن الله جل وعلا الذي اصطفاهم ليكونوا الواسطة الأولى لنقل الوحي بين الأمة ونبيها المعصوم ﷺ قد حمى جنابهم، وصان أعراضهم، ويسّر لهم من أسباب الضبط في نقل الشريعة ما يتناسب وعظم هذه المسؤولية، الأمر الذي جعل مسألة إجراء قواعد النقاد المتعلقة بضبطهم مسألة لا تأتي إلا بالحاصل الذي يريد المخلصون تحصيله. ولعّل هذا هو الذي حدا بالحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره من المتقدمين والمتأخرين أن يصنّفوا الصحابة الكرام في أول مراتب التعديل.

ولا شك أن السهو أو الخطأ أو النسيان طبيعة في الإنسان، لا ينفك منها أحد من البشر، ومن أراد إنساناً سالماً من هذا النقص فقد أراد محالاً، والشواهد من الكتاب والسنة وواقع الحياة كثيرة ليس هذا مجال حصرها. غير أنه ينبغي التنبيه على أن الضبط في المسائل التشريعية المتعلقة بنقل الوحي كان محروساً بعناية الله وتوفيقه، ولو أن الضبط في هذه المسائل خلا من تلك العناية؛ إذن

لكنا مكلفين بما هو خاضع لطبيعة النسيان والخطأ الملازمة للبشر، ومحال على الله عز شأنه أن يكلفنا بأمر على لسان رسوله ﷺ إلا بعد أن يهيء الوسائل الكفيلة بتبليغه، وإلا فإن الله عز وجل، وحاشاه من ذلك يكلف الناس بما لا يطيقون، قال تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾** (٢)

وقد تم تقسيم البحث بعد المقدمة إلى خمسة مطالب وخاتمة موزعة على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الضبط وأنواعه.

المطلب الثاني: مكانة الصحابة في الرواية وخطورة الطعن فيهم.

المطلب الثالث: تفوق الصحابة في الضبط بأسباب من جهة النبي ﷺ .

أولاً: تخولهم بالموعظة.

ثانياً: تمهل النبي ﷺ عند الأداء.

ثالثاً: إعادة الحديث وتكراره.

رابعاً: بركة النبي ﷺ وبركة دعائه.

المطلب الرابع: تفوقهم بأسباب خاصّة بهم:

أولاً: علو إسنادهم.

ثانياً: اقتران تحملهم بوقائع ومشاهد حضروها.

---

(٢) آية ٢٨٦ / سورة البقرة.

ثالثاً: اقتران بعض الأحاديث بأمور خارقة حضروها.

رابعاً: سيلان أذهانهم وصفاء فطرتهم.

خامساً: تقواهم وورعهم.

سادساً: توظيف ما تحملوه من حديث قولاً وعملاً.

سابعاً: تثبتهم في رواية الحديث.

ثامناً: عناية بعض الصحابة بأحاديث موضوعات خاصة.

تاسعاً: ملازمتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلّم .

المطلب الخامس: أسباب عامّة.

أولاً: مذاكرة الحديث

ثانياً: كتابة الحديث

الخاتمة: وتشتمل على خلاصة البحث وأهم النتائج

المطلب الأول: تعريف الضبط، وأنواعه

أولاً: تعريفه

الضبط في اللغة:

بالرجوع إلى مادة الضبط في معاجم اللغة رأينا أن كل ما يندرج تحتها يدور حول معاني: الحفظ، والقوة، والشدة، والحزم، والحبس، والنيْل والجمع، والإمساك بقوة، والإحكام [٣] .

ولو لخصنا هذه المعاني في معنى واحد لوجدنا أن غالبها ينتظم في معنى واحدٍ هو الحفظ الحازم، ومن هنا فقد قالوا: فلان ضبط سداد القارورة؛ بمعنى أنه أحكم إغلاقها، كما أنهم لمحوا في تسمية الضابط – وهو المسؤول عن مجموعة من الجيش ونحوه – معنى ضبط أمور أفراد هذه المجموعة بالحزم، ولهذا قال الفيروزابادي: "ضبطه ضبطاً؛ أي حفظه بالحزم، أي أنه صار حازم الفؤاد، ورجل ضابط: أي قوي شديد [٤] ". وفي المثل:

---

(٣) الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، طبع دار صادر، بيروت، سنة ١٩٦١، مادة ضبط، م٥، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الجيل، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ، م ٢، ص ٢٨٤.

"أضبط من نملة" [٥]، وربما قالوا كذلك: "أجمع من نملة" [٦] ؛ ذلك لأنها أحفظ من غيرها من سائر المخلوقات، فهي تجمع وتحفظ في بيوتها صيفاً مؤونة الشتاء. كما قالت العرب أيضاً: "أضبط من عائش بن عثم"[٧] ، وذاك أنه سقى إيله يوماً، فأنزل أخاه في الرّكيّة ليميح له الماء، فازدحمت الإبل، فهوت منها بكرة في البئر، فأخذ بذنبها، فصاح به أخوه: يا أخي! الموت! فقال له: ذاك إلى ذنب البكرة، يريد أنه إذا انقطع ذنبها وقعت، ثم اجتذبها فأخرجها. فضرب به المثل في قوة الضبط.

الضبط في اصطلاح المحدثين:

ويعنون به أن يكون الرا وي متيقظاً غير مغفل، حازم الفؤاد، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، فإذا كان يحدث بالمعنى اشترطوا فيه زيادة على ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني [٨].

---

(٥) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، دون تاريخ، م١، ص ٤٢٧.
(٦) المصدر السابق، م ١، ص١٨٨.
(٧) المصدر السابق، م١، ص ٤٢٤.
(٨) ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٢، سنة ١٩٧٢، ص٩٤.

ووجه المطابقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ظاهر من حيث أن الراوي الموصوف بالضبط قد حفظ بقوة قلبه وحـزم فؤاده، وحبس هذا المحفوظ في صدره بعد أن جمعه وناله بـسعيه واجتهاده، ثم أحكم هذا المسموع جيداً، فلم يفلت منه شيء.

ولا بد للراوي إذا وصف بالضبط أن يتحقق فيه معناه من حال سماع الحديث حتى يبلغه ويؤديه، فإن تخلل أثناء ذلك نسيان، أو سهو، أو خطأ، أو تردد، لم يكن الراوي ضابطاً ضبطاً تامـاً. ولا يقدح في الضبط؛ اليسير من هذه الأمور، وإنما العبـرة بمـا غلب، ولهذا قال عمدة النقاد؛ يحيى بن معين: "لست أعجب ممـن يحدث فيخطىء، وإنما أعجب ممن يحدث فيـصيب." [(٩)] ، وقـد حصل عارض السّهو لرسول الله ﷺ ؛ فقال (إنما أنا بشر أذكـر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون، فـإذا نـسيت فـذكروني) [(١٠)]، والقصة مشهورة في كتب الحديث.

---

(٩) ابن حجر العسقلاني، أحمد بـن علـي، لـسان الميـزان، دار الكتـاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، م١، ص١٧.

(١٠) البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختـصر مـن أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المطبعة الميمنيـة، ١٣٢٣هـ، كتـاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، م١، ص٩٧.

ثانياً: أنواعه

قسم العلماء الضبط قسمين هما: ضبط الصدر، ويعبّرون عنه "بالذاكرة"، وضبط الكتاب.

١- **ضبط الصدر:** وهو حفظ الراوي ما قد تحمله مع السيطرة عليه، والتمكن من استحضاره عند أدائه، ولا بد للراوي حتى يستحق الوصف بهذا النوع من الضبط من أن يكون متيقظاً حازم القلب، غير متردد فيما يؤدي، وأن لا يكون مغفلاً؛ لا يعرف ما تحيله المعاني، فكم من الرواة قد روى الحديث على معنى فاسد انقدح في ذهنه فغير لفظه بناء على ما استقر في ذهنه خطأ، فتغير تبعاً لذلك معنى الحديث كلية، وذلك كحديث (نهيه ﷺ عن الحِلَقِ قبل الصلاة في يوم الجمعة، وعن التحلّق أيضا) [11] ، قال الخطابي: "يرويه كثير من المحدثين: عن الحَلْق قبل الصلاة، ويتأولونه على حِلاق الشعر، حتى قال بعض مشايخه: لم أحلق رأسي قبل الصلاة نحواً من أربعين سنة بعدما سمعت هذا الحديث...." [12] ، والأمثلة

---

(١١) ابن حنبل، ابو عبد الله أحمد بن محمد، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، دون تاريخ، م٢، ص١٧٩.

(١٢) الخطابي، ابو سليمان حمد بن محمد البستي، اصلاح غلط المحدثين، تحقيق حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، رقم ١٨، ص٢٨.

على هذا الضرب من قلة الضبط كثيرة مبسوطة في كتب التصحيف [١٣] .

إن هذه الشروط المطلوبة في الراوي حتى يوصف بضبط الصدر إذا لم تكن موجودة فيه فأحرِ بطرح رواياته، لعدم الوثوق بها أو الاطمئنان إليها.

٢- **ضبط الكتاب:** يقصد العلماء بضبط الكتاب أن يصون الراوي كتابه الذي يشتمل على مسموعاته من أن يتطرق إليه خلل، أو أن تمتد إليه يد غير أمينة فتغير ما فيه زيادة أو نقصاً [١٤]. ولا بد للراوي حتى يوصف بهذا النوع من الضبط من أن يحافظ على كتابه كما يحافظ على روحه بدءا من مرحلة السماع والكتابة إلى حين أداء الحديث وتبليغه.

ولهذا فإن العلماء قد بينوا أموراً كثيرة يختل بها ضبط الراوي الذي يعتمد على الكتاب، فقد جعلوا تساهله في نسخته التي يروي منها أحاديثه أمراً كافياً للقدح في ضبطه ورد

(١٣) من شاء التوسع فلينظر: كتاب العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله ابن سعيد، تصحيفات المحدثين، تحقيق الدكتور محمود أحمد ميرة، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

(١٤) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٩٦٨م، م١، ص١٨، ٢٦٨، بتصرف يسير.

رواياته [١٥] ، والحق أن للعلماء الذين لم يقبلوا الرواية من الكتب مسوغات وجيهة ترجع في غالبها إلى التحرز والتوخي – وهما من لوازم الضبط – وذلك خوفاً من الزيادة في الكتاب أو النقص منه، أو الإدخال على أصل هذا الكتاب ما ليس منه من غير أن يعلم صاحبه شيئاً عنها، ولا سمعها من شيوخه، ولربما تطاول الزمان على هذا التغيير في أصل الكتاب، فيحدث الراوي من كتابه على الوهم ظناً منه أن هذه الأمور التي غُيرت عن أصلها بزيادة أو نقص كانت من مسموعاته، والحال أنها ليست كذلك، فيفتضح أمره بهذا عند صيارفة الحديث.

ولهذا فإن علماءنا قد اشترطوا لضبط الكتاب أن يكون هذا الكتاب صحيحاً متقناً، وأن يكون صاحبه ثبْتاً [١٦] ، كما أنهم اشترطوا أن يعارض التلميذ نسخته بنسخة شيخه، فقد سأل عروة بن الزبير ابنه هشاماً قائلاً: "كتبت؟ فقال: نعم، قال: عرضت كتابك؟ قال: لا، قال: لم تكتب" [١٧] .

---

(١٥) ابن الصلاح، علوم الحديث، ص ١٠٧، ١٠٨، وعتر، نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص ٨٧.

(١٦) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، دون تاريخ، ص ٣٤٤.

(١٧) المصدر السابق، ص ٣٥٠.

إن شرط ضبط الكتاب يلحّ بضرورة الأخذ به حينما يكون الراوي قد اعتمد على حافظته في بداية الطلب، ثم احتاج بعدُ إلى التثبت فيما حفظ، ذلك أن الحفظ قد يخون صاحبه خصوصاً عند تقدم السن وتطاول الزمان، فعن عبد الله بن إدريس الأوْدي قال: كان أبي يقول: "احفظ وإياك والكتاب، فإذا حفظت فاكتب؛ فإن احتجت يوماً أو شغل قلبك وجدت كتابك" [18] . ومما لا شك فيه أن التثبت أمر مرغوب فيه، وحض عليه الشرع، قال ابن سيرين: "التثبت نصف العلم" [19] . وتتأكد ضرورة التثبت في حال الشك، والطريقة المثلى لدفع هذا الشك هي الرجوع للكتاب، فيغدو بهذا، حارساً للحفظ، وهذا هو معنى كلام إدريس بن يزيد الأودي؛ والد عبد الله الذي سبق بيانه، ولهذا فقد أقر الإمام أحمد بن حنبل بأن الذين حدثوه من كتبهم كانوا أتقن من الذين حدثوه من حفظهم[20] .

---

(١٨) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تقييد العلم، تصدير وتحقيق يوسف العش، دار الوعي، حلب، ط٣، ١٩٨٨م، ص١١٢.

(١٩) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٢٥٧.

(٢٠) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ١١٥.

رَفَعُ

عبد الرَّحمن النجديّ

أسكنه اللهُ الفردوس

المطلب الثاني: مكانة الصحابة في الرواية، وخطورة الطعن فيهم

يمثل الصحابة، ﷺ الحلقة الأولى من حلقات السند بين هذه الأمة وبين نبيها عليه الصلاة والسلام، وقد اصطفاهم الله عز وجل ليكونوا أمناء على هذا الدين، وحراساً على نقله. وما داموا كذلك فقد علم بالضرورة أن يكونوا في أرقى مراتب الصدق والتيقظ حين السماع من رسول الله ﷺ، وحين الأداء عنه.

ولقد أدرك أعداء السنة النبوية المشرفة منزلة هذه الطبقة من الناس في نقل الشريعة، وأن الغمز في أعلام الرواية منهم تارة، أو النيل من جمهورهم تارة أخرى هو أيسر السبل لنقض أساس الدين وإتيانه من القواعد(*) ، ولذلك فلا عجب أن تكون المعركة الدائرة على السُّنَّة أشرس وأعتى من المعركة الدائرة على كتاب الله عز وجل. إن العقل الخالي من الزغل ليحيل أن يجتبي الله عز وجل لنقل الشريعة أناساً ملموزين ليتشكل منهم الميدان الفسيح للمعركة على الشريعة الغراء بمصدريها: الكتاب والسنة.

(*) انظر مثلاً: أبو رية، محمود، شيخ المضيرة أبو هريرة، دار المعارف، مصر، والمامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في أسماء الرجال، انتشارات جهان، طهران، ١٣٤٩هـ.

وعليه فإن توثيق هذا الجيل من الناس لم يَكِلْهُ الله عز وجل لأحـد من البشر إلا له أو لرسوله ﷺ .

قال الله تعالى:﴿قُلِ الحَمْدُ للهِ، وَسَـلامٌ عَلـى عِبـادِهِ الـذينَ اصْطَفَى﴾[21].

قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وغيره من أهل العلم: "أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيّه عليه الصلاة والسلام." [22]

وقال ﷺ: (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء مـا توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعـدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهـبَ أصـحابي أتـى أمتـي مـا يوعدون)[23]

قال ابن القيم رحمه الله: "وجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نـسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلـى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة

---

(٢١) آية ٥٩/ سورة النحل.
(٢٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، تفسير القرآن العظـيم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٥، م٣/ ص٣٥٦، وابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مطبعة عبد الـسلام ابن محمد بن شقرون، القاهرة، ١٩٦٨م، م٤، ص١٣١.
(٢٣) مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، ومعه شرح النـووي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقـاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، م ١٦، ص ٨٢.

بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيّهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضاً فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم، وحرزاً من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به، ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنه للصحابة وحرزاً لهم، وهذا من المحال" (٢٤)

والمتأمل في كلام ابن القيم السابق، يجد أنه في غاية الروعة في الاستدلال على منزلة الصحابة ﷺ والاقتداء بهم، لأنهم يمثلون حرز هذه الأمة ونجومها المضيئة بعد رسول الله ﷺ. وقد عدّ ابن القيم ستة وأربعين وجهاً من الوجوه التي تدل على منزلة الصحابة في العلم، وعزّز هذه الوجوه بالأدلة من الكتاب والسنة، والحجج العقلية الدامغة. (٢٥)

"ومن هنا كان توثيق هذه الطبقة الكريمة دفاعاً عن الكتاب والسنة وأصول الإسلام من ناحية، وتقديراً لحكمة الله البالغة في اختيارهم لهذه المهمة العظمى، كما أن توهينهم أو النيل منهم يعدّ غمزاً في هذا الاختيار الحكيم، ولمزاً في ذلك الاصطفاء والتكريم" (٢٦) . إن النقد إذا أردناه أن يكون معقولاً فإنه ينبغي أن لا يُتحرى

---

(٢٤) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، م ٤، ص ١٣٧.
(٢٥) المصدر السابق، م ٤، ص ١٢٣-ص ١٥٣.
(٢٦) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، بدون تاريخ، م١، ص ٣٢٨-٣٣١.

فيه أقوى حلقة من حلقات الأسانيد وأوثقها - وهم الصحابة ﷺ - فذاك بلا شك دعوى ماكرة للالتفاف على السُّنَّة، ومحاولة رعناء لإتيان هذا الصرح من القواعد، بذريعة السير على قواعد التحقيق والبحث العلمي زوراً، أو الجري على سنن نقاد الحديث في وجوب الكشف عن أحوال الرواة ادعاءاً وبهتاناً.

لقد شرف الله تعالى هذه الأمة بخصوصية الإسناد والنقل الأمين؛ لعلمه عز وجل أن شريعة الإسلام هي الخاتمة، وأنها هي الباقية إلى يوم الدين. وقد بيّن العلامة ابن حزم ذلك بقوله: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل..." (٢٧)، وقال الطيبي: "الإسناد خصّيصة هذه الأمة، وسنة من السنن البالغة، وطلب العلو فيه سنة أيضا..." (٢٨).

وقد بلغ احترام هذه الخصوصية الحد الذي جعل بعض أعداء الإسلام تنفلت منه مقولة في مدح علم الحديث عامة، وعلم

---

(٢٧) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٥م، م٢، ص ٨١.

(٢٨) الطيبي، الحسين بن عبد الله، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٥٥.

الإسناد على وجه الخصوص، قال مرجليوث: "ليفخر المسلمون بعلم حديثهم ما شاؤوا" [29].

لقد بذل الصحابة في تكريس معنى هذه الخصوصية جهودهم، ووظّفوا لها كل إمكاناتهم. و"إن الناظر في تاريخ الصحابة يروعه ما يعرفه عنهم في تثبتهم أكثر مما يروعه ما يعرفه عنهم في حفظهم." [30] ويرجع الزرقاني ذلك إلى أمانة الصحابة الكاملة وعقلهم الناضج، حيث يقول: "لأن التثبت فضيلة ترجع إلى الأمانة الكاملة، والعقل الناضج من ناحية، ثم هو - يعني التثبت - في الصحابة بلغ القمة من ناحية أخرى"[31]. لقد هيأ الله لجيل الصحابة الكرام من دواعي الضبط ما يتناسب وخطورة مهمة البلاغ؛ الذي أنيط بهم لنقل الشريعة. ولا توجد أمة من الأمم على الإطلاق قد توافرت لها مثل هذه الدواعي التي هيأها الله عز وجل للصحابة، حتى نقلوا الكتاب والسنة... [32].

ولا ندعي في بحثنا هذا العصمة للصحابة فيما أدوا من حديث، فهناك بعض الاستدراكات التي وردت على رواياتهم،

---

(٢٩) المعلمي اليماني، عبد الرحمن بن يحيى، الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٠٦، وأبو غدة، عبد الفتاح، الإسناد من الدين، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٣٤.
(٣٠) الزرقاني، مناهل العرفان، م١، ص ٣٠٩.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) المصدر السابق، م١، ص٣٠٨، بتصرف يسير.

وهناك بعض الأخطاء النادرة التي وقعت منهم، وهذه الأخطـاء - في جانب الحفظ البشري- تبقى ضمن الهامش الذي يكون للحفظة المتقنين، وعليه فإن هذه الاستدراكات التي لا يسلم ببعـضها، أو الأخطاء النادرة في الرواية لا تقلل مـن تفـوق الـصحابة فـي ضبطهم، ولا تنزلهم عن مرتبة الحفظ والإتقان التي كانـت لهـم، وميزتهم عمن جاء بعدهم.

المطلب الثالث: تفوق الصحابة ﷺ في الضبط بأسباب من جهة النبي ﷺ

يتحكّم في مسألة ضبط الصحابة للحديث عوامل عدّة، بعضها يعود لشخص النبي ﷺ وأسلوبه الحكيم في إلقاء الحديث، وبعضها الآخر يعود لأسباب خاصة بهؤلاء الصحابة، وسرعة استجابة ذاكرتهم لحفظ ما سمعوه من رسول الله ﷺ.

فأما تفوقهم في الضبط بأسباب من جهة النبي ﷺ فتتمثل بالآتي:

أولاً: تخولهم بالموعظة

يمثل الرسول ﷺ المعلم الحكيم الحريص على إفادة أصحابه بشتى الوسائل التعليمية والتربوية عند إلقاء الحديث عليهم، وكان ﷺ يسلك سبيل الحكمة كي يجعلهم أهلاً لتحمل المسؤولية [٣٣]، فكان من شأنه أن ينتهز فرصة نشاطهم وفراغ قلوبهم من أي شاغل قد يجعل من المادة الملقاة عليهم عبئاً يملّهم أو ينفرهم، وقد أبدع البخاري حين بوّب لهذه المسألة باباً في كتاب العلم من صحيحه؛ فقال: "باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم لكي لا ينفروا" [٣٤]، كما عنون الخطيب في

---

(٣٣) عتر، نور الدين، منهج النقد، ص٣٨.
(٣٤) البخاري، الجامع الصحيح، م١، ص٢٣.

جامعة لهذه المسألة بـ "كراهة التحديث لمن عارضه الكسل والفتور" [٣٥] ، ثم قال: "حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع"[٣٦] ، وساق بعد ذلك عدة آثار تعزز معنى العنوان الذي عنون به لهذه المسألة، فقد أسند عن عبد الله بن مسعود ﵁ قوله: "إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها، ودعوها عند فترتها وإدبارها"[٣٧] ، كما أسند عن أبي العالية الرياحي قوله: "حدث القوم ما حملوا، قيل له: ما (ما حملوا)؟ قال: ما نشطوا"[٣٨] يعني مدة نشاطهم وما من شك أن النفس البشرية قد يصيبها الملل أو تعتريها السآمة لطول ما يلقى عليها من العلم أو كثرة ما توعظ به، والمقصود من العلم إنما هو الانتفاع والعمل بمقتضاه، وليس مجرد حشو مادته في أوعية

---

(٣٥) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩١م، فقرة ٧٤٦، م١، ص٥١٨.

(٣٦) المصدر السابق، وقد ذكر أبو هلال العسكري أن النفس إذا اشتهت الشيء كانت أسمح في طلبه وأنشط لالتماسه وهي عند الشهوة أقبل للمعاني: أنظر العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، ضمن كتاب الجامع في الحث على حفظ العلم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ومكتبة العلم، جده، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٥.

(٣٧) الخطيب البغدادي، الجامع، فقرة ٧٤٩، م١، ص٥١٩.

(٣٨) المصدر السابق، فقرة ٧٥١، م١، ص ٥١٩.

لا تستوعبه؛ ولا هي راغبة في مزيد مما يسئمها وينفرها. ولهـذا فإننا وجدنا رسول الله ﷺ يضرب أروع مثال حين كان يتعاهـد أصحابه بالموعظة والعلم، ويتخولهم بهما؛ حتـى عـرف ذلـك أصحابه سجية فيه، فقد روى البخاري من طريق عبـد الله بـن مسعود قال: (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهـة السآمة علينا) [٣٩].

قال ابن حجر: "كان ﷺ يراعي الأوقات في تـذكيرهم ولا يفعـل ذلك كل يوم حتى لا يملّوا" [٤٠]، وفسّر أبو عمرو الشيباني ذلـك بأنه ﷺ كان يتطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة [٤١]، ثم وضع الحافظ ابن حجر ضابطاً لـذلك، يـتلخص فـي حـاجتهم للموعظة مع مراعاة وجود النشاط [٤٢]. ولهـذا فإننـا رأينـا أن أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم كانوا يتمثلون هذا النهج عنـد إلقـاء العلم، فعن علي رضي الله عنه قال: "اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف

---

(٣٩) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم، م١، ص٢٣.

(٤٠) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فـتح البـاري شـرح صـحيح البخاري، ومعه متن الصحيح، المطبعة السلفية، القـاهرة، ١٣٨٠هــ، م١، ص١٦٢.

(٤١) المصدر السابق، م١، ص١٦٣.

(٤٢) المصدر السابق.

الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان"، [٤٣] وكان ابن مسعودﷺ لا يمتنع من الخروج إلى أصحابه إلا مخافة السآمة عليهم [٤٤] ؛ كيف لا وهو راوي الحديث السابق عند البخاري، وكان ابن شهاب الزهري يقول: "هاتوا من أشعاركم، هاتوا من أحاديثكم، فإن الأذن مجاجّة والنفس حمضة، فأفيضوا ببعض ما يخف علينا" [٤٥] .

وهكذا بهذا المنهج النبوي الحكيم في التخوّل بإلقاء الحديث كان الصحابة ﷺ أفذاذاً في ضبطه، روادا في صيانته وتعاهده.

ثانياً: تمهل النبي ﷺ عند الأداء

عُرِف عن النبي ﷺ تمهله في أداء الحديث، حتى أن العادّ لو أراد أن يعدّ كلماته لأحصاها؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها [٤٦] . وهذه الصورة من التمهل وعدم الاستعجال؛ كانت سبباً من

(٤٣) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، م١، ص١٠٤، ١٠٥.
(٤٤) المصدر السابق، م١، ص ١٠٥.
(٤٥) المصدر السابق، م١، ص١٠٤.
(٤٦) متفق عليه، ولفظه كما ورد عند البخاري عن عائشة رضي الله عنها، (أن النبي ﷺ كان يحدث حديثا لو عدّه العادّ لأحصاه).

أسباب حفظ الصحابة وضبطهم لما يلقي إليهم، ذلك أن العلم إذا ألقي على مهل؛ كان أشدّ ثباتاً في القلب، وأكثر استقراراً في الصدر، وكان المتلقي له أعظم حفظاً وأقوى ضبطاً، بالإضافة إلى أن التمهل في الإلقاء، يجعل الحديث أكثر وضوحاً، فلا تلتبس كلماته، ولا تستشكل حروفه؛ مما يؤدي إلى حفظه وضبطه.

وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها على أبي هريرة ﷺ سرده الحديث، حينما كان يحدث في مسجد النبي ﷺ ، وقد سمعته يسرد الحديث سرداً [٤٧] ، وعللت ذلك بأن الأسلوب الذي انتهجه النبي ﷺ في الأداء لم يكن كذلك، فقالت: (ما كان رسول الله ﷺ يَسْرُد كَسَرْدِكمُ هذا، ولكنه كان يتكلّم بكلامٍ يُبَيّنُهُ، فَصلٍ، يحفظه من جلس إليه)[٤٨] .

انظر البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأنبياء، باب صفة النبي ﷺ، م٤، ص٢٠٠ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث، م١٦، ص١٢٩.

(٤٧) متفق عليه.

انظر البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الانبياء، باب صفة النبي ﷺ، م٤، ص٢٠٠ ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة ﷺ، م١٦، ص٥٢

(٤٨) أخرجه أبو داود والترمذي بإسناد حسن، واللفظ للترمذي، ولفظ أبي داود: (كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه).

انظر: أبا داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب السنن، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام،

فهذا التوضيح من عائشة رضي الله عنها؛ يشير إلى تمهل النبي ﷺ عند الأداء، ويبين أثر هذا الأسلوب في حفظ الصحابة للحديث، بدليل قولها: (كان يتكلم بكلام يبينه، فصلٍ، يحفظه من جلس إليه)، ثم إن في قولها: (لو عدّه ألعاد لأحصاه)؛ ما يشير إلى أنّه ﷺ أوتي جوامع الكلم، وأنّ كلامه كان قصداً، حيث كان يؤدي العلم الوفير بعبارة موجزة مختصرة، ولم يكن يطيل الكلام الذي يشق حفظه ويصعب حصره.

ثالثاً: إعادته ﷺ العبارة وتكراره لها

لا شك أن الدارس للحديث والمطّلع على السنة؛ يعرف أن تكرار الحديث، وإعادة العبارة من الأساليب التي اتبعها النبي ﷺ في تعليم أصحابه؛ وذلك بقصد حفظ الحديث، وفهمه، وعدم نسيانه، وبقصد التأكيد عليه إذا كان ذا شأن عظيم وأثر بالغ، أو كان من الأمور التي تحتاج إلى التنبيه والتحذير. فالتكرار والإعادة يبرزان أهمية الموضوع وخطورة شأنه، ويساعدان في حفظ الحديث وضبطه بصورة لا يكون معها الوهم أو الخطأ.

ح٤٨٣٩، م٥، ص١٧٢، والترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح أحمد شاكر وغيره، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، كتاب المناقب، باب في كلام النبي ﷺ، ح ٣٦٣٩، م٥، ص٦٠٠.

ومن الأمثلة على ما تقدم، قوله ﷺ : (... التقوى ههنا التقوى ههنا - ويشير إلى صدره - ثلاث مرات...) [٤٩] ، وقوله: (... هل بلغت - ثلاثا-) [٥٠] ، وما رواه أبو بكر رضي الله عنه قال: (كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً- قلنا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور " وكان متكئاً فجلس - فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت). [٥١]

وربما ظنّ البعض أن تكرار العبارة كان للقضايا الهامّة ذات الشأن العظيم من أجل التنبيه عليها، ولكن ورد ما يفيد أن النبي ﷺ كان يعيد العبارة ويكررها لتفهم عنه.

---

(٤٩) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، م١٦، ص١٢٠.
(٥٠) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه، م١، ص٣٠.
(٥١) الحديث متفق عليه.
انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، م٨، ص٤، وكتاب الاستئذان، باب من اتكأ بين يدي أصحابه، م٨، ص٦٧، وكتاب استتابة المرتدين، فاتحة الكتاب، م٩، ص١٥.
ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، م٢، ص٨١.

ودليل ذلك؛ ما رواه أنس بن مالك ﷺ، عن النبـــي ﷺ: (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلّم عليهم ثلاثاً) (٥٢) .

ولا يخفى على العارف بأساليب التعليم أن التكرار للدرس أو العبارة؛ له أثر بالغ في الحفظ والضبط؛ حيث أن الإعادة تعين صاحب الحفظ الضعيف على ضبط ما ألقي إليه، وتـساعد الـذي التبس عليه بعض اللفظ أن يتحقق من سماعه، وأن يحفظ ما فاتـه دون شك. وهذا المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في تعليم أصـحابه؛ يتفق مع وظيفته التي تتمثل بتبليغ شرع الله بصورة واضحة جلية، حتى يكون التطبيق بعد ذلك تاما صحيحاً.

رابعاً: بركة النبي ﷺ وبركة دعائه

حاز بعض الصحابة قوة الحفظ ببركة النبـــي ﷺ وبركـة دعائه، كابن عباس رضي الله عنهما، الذي ضمه النبي ﷺ إلـى صدره، وقال: "اللهم علمه الحكمة" (٥٣) . وقد ثبت أن النبـــي ﷺ

---

(٥٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من أعاد الحـديث ثلاثـاً ليفهم عنه، م١، ص٣٠.

(٥٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما، م٥، ص٢٩.

دعا له بالحكمة مرتين (٥٤) ، حتى قال عبيد الله بن عبد الله النوفلي: "ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنة، ولا أجل رأياً، ولا أثقب نظراً من ابن عباس". (٥٥) وهكذا كان ابن عباس رضي الله عنهما بعد الدعاء له من المكثرين من رواية الحديث، والضابطين له.

وممن حصل لهم الدعاء كذلك أبو هريرة ﷺ؛ الذي كان يسمع الحديث فينساه؛ حتى شكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: "قلت يا رسول الله، إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه. قال: ابسط رداءك، فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: ضمّه، فضممته، فما نسيت شيئاً بعده" (٥٦)

ويروي أبو هريرة ﷺ انه كان شديد الملازمة للرسول ﷺ ، وأنه حاز فضيلة الحفظ وعدم النسيان مرة أخرى، فيقول: "وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم يَنْسَ شيئاً سمعه، فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم

---

(٥٤) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، م٣، ص٩٣٥.
(٥٥) المصدر السابق، ص ٩٣٦.
(٥٦) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب حفظ العلم، م١، ص٣٥.

جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني بـــه.... الخ" [٥٧] .

قال النووي: "وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ في بـــسط ثوب أبي هريرة"[٥٨] .

ويظهر من الروايات مجتمعة أن بسط الثوب وقـــع لأبـــي هريرة مرتين؛ مرة بسبب شكواه من نسيان الحديث، ومرة كانـــت تفضلاً من النبي ﷺ .

قال ابن حجر: "وفي هذين الحديثين فضيلة ظاهرة لأبـــي هريرة ومعجزة واضحة من علامات النبوة لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه يكثر منه، ثم تخلـــف عنـــه ببركة النبي ﷺ ". [٥٩]

وقد شهد الصحابة ومن جاء بعدهم لأبي هريرة بـــالحفظ، والعلم بحديث رسول الله ﷺ، ومن ذلك:

---

(٥٧) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام، باب من قـــال إن أحكـــام النبي ﷺ كانت ظاهرة، م٩، ص١١٨، ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي هريرة، م١٦،·ص٥٤.
(٥٨) النووي، شرح صحيح مسلم، م١٦، ص٥٤.
(٥٩) ابن حجر، فتح الباري، م١، ص٢١٥.

قول ابن عمر: "أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى عليه وسلم، وأعلمنا بحديثه" (٦٠) .

وقول الشافعي: "أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره". (٦١)

وقول البخاري: "كان أحفظ من روى الحديث في عصره" . (٦٢)

وبهذا يظهر لنا أثر دعاء النبي ﷺ لبعض أصحابه في حفظ الحديث وضبطه والإكثار من حمله وروايته، ويتبين أنهم فاقوا من جاء بعدهم في الرواية ببركة رسول الله ﷺ .

---

(٦٠) أخرجه الترمذي وأحمد بإسناد صحيح، الترمذي، السنن، م٥، ص٦٨٤، وأحمد بن حنبل، المسند، م٢، ص٢، وابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٨٥م، م٢، قسم ٢، ص١١٨.

(٦١) الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، م١، ص٣٦، والذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، م٢، ص٥٩٩، وابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، م٤، ص٢٠٥.

(٦٢) ابن حجر، الإصابة، م٤، ص٢٠٥.

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

المطلب الرابع: تفوقهم بأسباب خاصة بهم

أولاً: علوّ إسنادهم

من المقرر عند المحدثين أن طبقة الصحابة تعدُّ أولى الطبقات في سلسلة الأسانيد(٦٣) ؛ لكونهم ملاصقين للنبي ﷺ في رواية الحديث ونقله، ولأن تلقيهم للعلم عن النبي ﷺ كان تلقياً مباشراً دون وساطة أحد. وإذا ما نظرنا إلى حالهم في الرواية قياساً بحال من جاء بعدهم؛ فإننا نجد أن أسانيدهم أعلى من أسانيد غيرهم من الرواة؛ من جهة القرب من رسول الله ﷺ ؛ الذي يعرف بالعلو الحقيقي، والذي يعدّ أعظم أنواع العلو وأجلها.

ومعلوم عند أهل الحديث أن علوّ الإسناد بقلة عدد الرواة؛ سبب في قلة الوهم وندرة الخطأ، فكلما قل عدد الرواة قل الخطأ، وكلما زاد عدد الرواة زاد الخطأ، فإذا انعدم الإسناد في حق الراوي كاد ينعدم الخطأ ويتلاشى الوهم (٦٤) ، وانعدام السند خاص برواية الصحابة دون غيرهم من الرواة.

---

(٦٣) الصاحب، محمد عيد، الإسناد العالي وأثره في حفظ الصحابة وضبطهم، مجلة دراسات، عمان، الأردن، المجلد ٢٣، العدد ٢، كانون الأول ١٩٩٦، ص٢١٤.

(٦٤) المصدر السابق.

والدارس للحديث النبوي الشريف، يجد أن الراوي إذا بعد عهده من عهد النبي ﷺ ؛ طال عليه السند ولحق به مشقة حفظ أسماء الرواة وألفاظ التحديث، وغير ذلك من أمور الرواية، في حين أن الراوي إذا قرب عهده من عهد النبي ﷺ؛ قصر عليه السند، ووفر ذلك عليه مشقة حفظ السند بكثرة الرواة واختلاف أحوال الرواية. فإذا كان الراوي ملاصقاً للنبي ﷺ ، فإنه لا يلحق به عبء حفظ الأسانيد، بل ينصبّ جهده على حفظ المتون فقط.

قال الرامهرمزي: "وإنما كره الكتاب من كره من الصدر الأول؛ لقرب العهد، وتقارب الإسناد، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله، أو يرغب عن تحفظه والعمل به، فأما والوقت متباعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والواهم غير مأمون، فان تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى، والدليل على وجوبه أقوى" (٦٥)

ويؤخذ من عبارة الرامهرمزي هذه أنّ قرب الإسناد بالقرب من عهد النبي ﷺ كان سبباً في الحفظ وعدم الوهم، وقلة النسيان (٦٦) .

---

(٦٥) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، م١، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣٨٦.

(٦٦) الصاحب، محمد عيد، الإسناد العالي وأثره في حفظ الصحابة، ص٢١٢.

قال ابن دقيق العيد: "وقد ظهر أن قلة الوسائط أقرب إلى الصحة"(٦٧) .

وقد قرر العلماء أن الوهم والخطأ أكثر ما يكون في الإسناد بسبب التشابه في الأسماء، وتعدد صور التحمل، واختلاف أحوال الرواية، وغير ذلك مما يخص نقل الحديث، قال العراقي: "ثم قد تقدح العلة في إسناد الحديث وهو الأكثر، وقد تقدح في متنه". (٦٨) وقال أحمد شاكر: "وأكثر ما تكون العلل في أسانيد الأحاديث، فتقدح في الإسناد والمتن معاً إذا ظهر منها ضعف الحديث، وقد تقدح في الإسناد وحده إذا كان الحديث مروياً بإسناد آخر صحيح" (٦٩) .

وبناء على ما تقدم فإننا نستطيع أن نقرر قاعدة مفادها أن طبقة الرواة كلما كانت أقرب إلى النبي ﷺ ؛ كان حديثها أقوى من حديث الطبقة التي تليها، وينبني على ذلك أن طبقة الصحابة تعلو ما سواها من الطبقات جميعاً من حيث دقة الحفظ وقوة الضبط؛ لأن ما ذكره العلماء من تجويز الخطأ والوهم من جهة

---

(٦٧) ابن دقيق العيد، تقي الدين محمد بن علي، الاقتراح في بيان الاصطلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٤٦.
(٦٨) العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، م١، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١١٧.
(٦٩) شاكر، أحمد محمد، شرح ألفية السيوطي في علم الحديث، م١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٥٨.

الإسناد؛ لا يرد على رواية الصحابة ﷺ، بسبب كونهم رأس الأسانيد للأحاديث المتصلة كلها.

ثانياً: اقتران تحملهم بوقائع ومشاهد حضروها

من المعلوم أن الخبر إذا اقترن بحادثة أو واقعة، أو قرنه سامعه بزمان أو مكان معينين، كان ذلك أدعى لحفظه، وسبباً لثباته في القلب، وكان المتحمل له أبعد عن الوهم فيه أو نسيانه، بل كان ذلك سبباً في استحضار دقائقه وتفصيلاته.

وقد امتاز تحمل الصحابة للحديث بهذه الميزة؛ التي انفردوا بها عمن جاء بعدهم، فحضروا الوقائع والحوادث، وعاشوا تطبيق الإسلام عملياً، وشاهدوا بأعينهم سيرته ﷺ وأفعاله وما صدر عنه، وساعدهم ذلك على حفظ الرواية، وضبطها، ونقلها نقلاً دقيقاً محرراً، حيث كان حفظ متن الحديث وكلماته، وضبط ذلك كله؛ مقترناً بحفظ الواقعة، أو حفظ السؤال والقصة، أو تذكر الزمان أو المكان، ونحو ذلك.

قال الزرقاني: "ارتباط كثير من كلام الله ورسوله بوقائع وحوادث وأسئلة من شأنها أن تثير الاهتمام، وتنبه الأذهان، وتلفت الأنظار إلى قضاء الله ورسوله فيها، وحديثهما عنها، وإجابتهما

عليها، وبذلك يتمكن الوحي الإلهي والكلام النبوي في النفوس فضل تمكن وينتقش في الأذهان على مرّ الزمان" (٧٠) .

والناظر في كتب الحديث، يجد الأمثلة العديدة التي تؤيد ذلك، ويلحظ الشواهد الكثيرة التي تفصل هذا المعنى وتوضحه، ويمكن بيان هذا المعنى من خلال المثالين التاليين:

١- ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم؛ جاءه أعرابي؛ فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: (أين - أراه - السائل عن الساعة؟) قال: ها أنا يا رسول الله. قال: (فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة). قال: كيف إضاعتها؟ قال: (إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) (٧١) .

فهذه الرواية اقترنت بقصة وسؤال وحوار، حيث حضر الأعرابي إلى مجلس رسول الله ﷺ، وحضوره مع كونه غريباً يشدّ الانتباه، ثم في سؤاله وعدم التفات النبي ﷺ إليه؛ سبب آخر في شدّ الانتباه وزيادة الاهتمام، حتى ثار التساؤل في نفوس

---

(٧٠) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، م١، ص٢٩٣.

(٧١) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه، م١، ص١٩.

الصحابة؛ لعدم التفاته ﷺ إلى السائل أو سؤاله، فقال بعضهم: "سمع ما قال فكره ما قال"، وقال بعضهم: "بل لم يسمع"، وهذا يدل على تنبههم وحضور فُهُومِهم للحادثة والقصة. ثم في سؤال النبي ﷺ عن الأعرابي بعد الانتهاء من حديثه، والقيام بالإجابة عن سؤاله، والحوار الذي دار بينه وبينه، كل ذلك يلفت الأنظار، ويشد الانتباه، ويستحضر الفهوم والأذهان، ويكون سبباً في استقرار المعاني والألفاظ بصورة يصعب معها ضياع شيء مما تحمله الحاضر الشاهد أو نسيانه أو الوهم فيه، والله أعلم.

٢- ما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق داخلاً من بعض العالية[٧٢] والناس كنفتيه [٧٣] ، فمرّ بجدي أسك [٧٤] ميّت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: (أيكم يحب أنّ هذا له بدرهم؟) فقالوا: ما نحب أنّه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: (أتحبون أنه لكم؟) قالوا: والله لو كان حيّاً كان عيباً فيه؛ لأنه أسك فكيف وهو ميّت!؟ فقال: (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) [٧٥] .

---

(٧٢) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة.
انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبا عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م٤، ص٧١.

(٧٣) كنفتيه: جانبيه، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، م١٨، ص٩٣.

(٧٤) أسك: صغير الأذنين، انظر المرجع السابق.

(٧٥) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، م١٨، ص ٩٣.

فهذا البيان لهوان الدنيا على الله، والدعوة إلى الزهد فيها من خلال الصورة الحقيقية، والمثال الواقعي المشاهد المحسوس؛ يوضح المراد خير توضيح، ويجعل الكلمات والألفاظ التي رافقت البيان والحوار تلتصق بالفؤاد وتثبت في الذاكرة فلا يقع فيها وهم ولا نسيان، بل إن الحديث يستظهره ويستحضره كل من عاش هذا الدرس العملي، وسمع ألفاظ الحديث مقترنة بالصورة العملية والمثال الحيّ؛ إذا ما تذكر الجدي الأسك الميت، أو تذكر عرض النبي ﷺ الجدي على أصحابه، وكل هذا يجدد حفظ الحديث، ويؤكد ضبطه، حتى يكون ثابتاً مستقراً في الصدر على أكمل وجه.

إن علماء النفس قرروا أن ارتباط المعلومات بأمور مقارنة لها في الفكر تجعلها أبقى على الزمن وأثبت في النفس، ولهذا كانت نفوس الصحابة المشاهدين لتلك الوقائع والحوادث، كانت نفوسهم مستشرفة لحديث رسول الله ﷺ ؛ متعطشة له، فكان الكلام ينزل على قلوبهم وهي متشوفة، كما ينزل الغيث على الأرض وهي متعطشة؛ تنهله بلهف، وتأخذه بشغف، وتمسكه وتحرص عليه بيقظة، [٧٦] حتى يكون حاضراً في الذهن؛ ثابتاً في القلب؛ لا يتفلت منه شيء.

---

(٧٦) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، م١، ص٢٩٤، ٢٩٥.

ثالثاً: اقتران بعض الأحاديث بأمور خارقة حضروها

معلوم أن الأمور الخارقة التي تخرج على نواميس الكون وقوانينه العامة؛ تثبت في الحافظة، وتستقر في الصدر، وتتركز في الفؤاد (٧٧)؛ فلا تكاد تنسى ولا يكاد يقع فيها الوهم أو يحصل لها النسيان.

وقد وقع للنبي ﷺ أمور خارقة في حوادث كثيرة؛ كانت دليلاً على نبوته وصدق رسالته، ولا شك أن هذه الخوارق نقشت في ذهن من رآها أو عايشها نقشاً يصعب ذهابه، ويمنع ضياعه، ومن هذه الخوارق وهي عديدة:

١- ما رواه البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال: "تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائةً؛ والحديبية بئر، فنزحناها (٧٨) فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها، فجلس على شفيرها (٧٩)، ثم دعا بإناء من

---

(٧٧) الزرقاني، محمد عبد العظيم، م١، ص٢٩٥.

(٧٨) نزحناها: استقينا ما فيها حتى نفذ ماؤها. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مادة نزح، م٣، ص٤٥٣.

(٧٩) شفير البئر: جانبه وحرفه، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة شفر، م٦، ص٨٨.

ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا [٨٠] ما شئنا نحن وركابنا". [٨١]

٢- ما رواه مسلم عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد - شك الأعمش - قال: "لما كان غزوة تبوك أصاب الناسَ مجاعةٌ، قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[٨٢] ، فأكلنا وادّهنا. فقال رسول الله ﷺ : (افعلوا)، قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله، إن فعلت قلّ الظهر [٨٣] ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم [٨٤] ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ : (نعم)، قال: فدعا بِنِطَعٍ[٨٥] فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم. قال: فجعل الرّجل يجيء بكفّ ذرةٍ، قال: ويجيء الآخر بكف تمرٍ، قال: ويجيء

---

(٨٠) (أصدرتنا... وركابنا): أي صرفتنا رواء فلم نحتج إلى المقام بها للماء. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة صدر، م٦، ص١١٨.

(٨١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، م٥، ص١٣٦.

(٨٢) النواضح من الابل، التي يستقى عليها، واحدها ناضح.
انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نضح، م٣، ص٤٥٨.

(٨٣) الظهر: الابل التي يحمل عليها ويركب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ظهر، م٦، ص١٩٤.

(٨٤) الازواد: جمع زاد، وهو طعام السفر والحضر جميعاً.
انظر: ابن منظور، لسان العرب، م٤، ص١٨١.

(٨٥) النِطَع: بساط من الجلد، قال ابن منظور: "النطع من الأدم معروف)
انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة نطع، م١٠، ص٢٣٤.

الآخر بِكِسْرةٍ حتى اجتمع على النِطَعِ من ذلك شيء يسير. قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم). قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ : (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة)[86].

فهذه الخوارق - التي هي خلاف المألوف - التي وقعت للنبي ﷺ وعايتها الصحابة ﷺ، يستحيل أن ينساها من رآها، ويبعد أن يخلط فيها أو يهم، بل على العكس من ذلك فإن هذه الخوارق تترسخ في نفس من شاهدها، وتنتقش في عقله؛ فلا ينساها أبداً؛ إلاّ إذا ذهب عقله، أو انفلتت نفسه.

رابعاً: سيلان أذهانهم، وصفاء فطرتهم

امتازت حياة العرب ببساطة العيش والبعد عن تعقيد الحضارة ومشاكلها،[87] واقتصروا فيها على الضرورات التي تقوم بها هذه الحياة، وقد كان الواحد منهم يسير في الصحراء، فإذا

---

(٨٦) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، م١، ص ٢٢٤.

(٨٧) عتر، نور الدين، منهج النقد، ص٣٧.

صلاه الهجير غرز عصاه في الرمل، ونشر عليها برده فاستظل به ولسان حاله يقول: أي كسرى في إيوانه.

ومن الأمور الثابتة بحق منذ القديم حتى عصرنا الحاضر أن الاعتماد على الذاكرة يعد شكلاً مفضلاً لحفظ المعرفة وخزن المعلومات (٨٨) ، وإنك لتجد تفضيل ذلك حتى عند الحكماء والفلاسفة على صعوبة كلامهم ووعورة ألفاظهم، فمن طريف ما يذكر عن سقراط أن أحد تلاميذه سأله أن يدوّن ما سمعه منه من الحكمة، فنهاه قائلاً: "ما أوثقك بجلود البهائم الميتة، وأزهدك في الخواطر الحية، هب أن إنساناً لقيك في طريق؛ فسألك عن شرف العلم، هل كان يحسن أن تحيله على الرجوع لمنزلك والنظر في كتبك؟ فإن كان لا يحسن فالزم الحفظ" (٨٩) .

أما العرب فقد أكسبتهم حياتهم الوادعة وبساطة عيشهم قوة في القريحة، وحدة في الخاطر، حتى لقد أصبح ذلك طبعاً ثابتاً فيهم، ولا شك أن هذه البساطة والأمية كانت تقتضي قوة ذاكرتهم، "إذ السنة الإلهية في قوانين الحياة تقضي بأن الاستخدام المستمر

---

(٨٨) أحمد، امتياز، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث، دار الوفا للطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٨٧ بتصرف.

(٨٩) المبشر بن فاتك، أبو الوفا محمود الدولة. الأمير، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق عبد الرحمن بدوي، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، إسبانيا، ط١، ١٩٥٨م، ص٨٢، ٨٣.

لملكات إنسانية معينة يجعلها أقوى وأكثر استجابة [٩٠] ، وقد بلغ بهم الاعتماد على الذاكرة أن كانت صدورهم سجلات أنسابهم، وقلوبهم دواوين أشعارهم ووقائعهم، فكانوا بحق أفذاذاً في هذا الميدان، "ثم جاء الإسلام فأرهف فيهم هذه القوى والمواهب، وزادهم من تلك المزايا والخصائص بما أفاد طبعهم من صقل، ونفوسهم من طهر [٩١] "، كيف لا، وهم يسمعون خير الهدي من الصادق المصدوق ﷺ، الذي مسّ حبه شغاف قلوبهم، فكانوا يرمقون حركاته وسكناته، حتى نقلوا لنا كيفية حركة أصبعه في تشهده في الصلاة، وحتى أحصوا عدد الشيبات في رأسه ولحيته ﷺ.

إن هذه الحياة الهادئة البعيدة عن الترف أكسبت الصحابة ﷺ أخلاقاً عالية شُكلت في نفوسهم على هدي النبوة في الرضا بالقليل، والبعد عن التكلف، وانتهاج الزهد في متاع الحياة، وقد أورثهم هذا المنهج صفاءً في الفكرة وسيلاناً في الذهن لا يكاد يوجد عند غيرهم من الناس، واستمر ذلك إلى من بعدهم في عصر التابعين، والعصور التي تلته؛ ففي جيل الصحابة نجد الكثير منهم قد اشتهروا بالحفظ وسيلان الذهن، فقد تعلم زيد بن ثابت

---

(٩٠) أحمد، امتياز، دلائل التوثيق المبكر للسنة، ص ١٩١ بتصرف.
(٩١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، م١، ص ٢٨٦.

الأنصاري رضي الله عنه اللغة السريانية في سبعة عشر يوماً، ويبدو أنه حذق لغة أخرى في مثل هذه المدة [٩٢] ، وأما أبو هريرة رضي الله عنه فقد حكى غير واحد من الصحابة أنه كان من أحفظهم لحديث رسول الله ﷺ [٩٣] ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قال فيه رسول الله ﷺ : "إن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها [٩٤] " ، وأما ابن عباس رضي الله عنهما فقد حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة التي مطلعها:

أمن آل نُعمٍ أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أم رائح فمهجر[٩٥]

يقال إنه حفظها في سَمْعةٍ واحدة [٩٦] ، وهي تبلغ خمسة وسبعين بيتاً من البحر الطويل. وإن أصابك العجب من حفظ من تقدم ذكره من الصحابة الكرام فاعجب لحفظ عائشة رضي الله عنها، ولا أدل على ذلك من حفظها لحديث أم زرع، على ما فيه من غرابة

---

(٩٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، م٢، ص ٤٢٨، ٤٢٩.

(٩٣) المصدر السابق، ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه ، م٢، ص ٥٩٤ - ٦٣٢.

(٩٤) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، م١٦، ص ٤٩.

(٩٥) ابن أبي ربيعة، أبو الخطاب عمر المخزومي الشاعر، ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص١٢٠-١٢٧.

(٩٦) ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله، م١، ص٦٩، ٧٠.

الألفاظ [٩٧] ، ناهيك عن استدراكها على كثير من الصحابة فيما يروونه[٩٨] .

أما فيمن جاء بعد الصحابة فالأمثلة على ذلك كثيرة، فهذا الزهري يقول: "إني لأمر بالبقيع [٩٩] ، فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيهما شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته" [١٠٠] ، أما الأصمعي فيذكر عنه أنه كان يحفظ (١٦,٠٠٠) أرجوزة من القصائد عن ظهر قلب [١٠١] .

---

(٩٧) مسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، م ١٥، ص ٢١٢.

(٩٨) انظر غير مأمور: الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.

(٩٩) لعل المراد به بقيع الخيل بالمدينة؛ عند دار زيد بن ثابت ﷺ ، وهو موضع سوق المدينة المجاور للمصلى. انظر: الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٦٩م، ص٦٣.

(١٠٠) ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله، م١، ص٦٩.

(١٠١) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، م١٠، ص١٧٦، وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة حيدر آباد بالهند، م٦، ص٤١٦.

خامساً: تقواهم وورعهم

عرف عن الصحابة ﷺ ورعهم وتقواهم، وقوة إيمانهم، وصدق يقينهم، وشدة حبّهم لله تعالى ورسوله ﷺ، وغَيْرتهم على الدين، حتّى امتدحهم ربهم وأثنى عليهم نبيّهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ مُحمَّدٌ رسولُ اللّه والذينَ مَعهُ أَشدّاءُ على الكُفّارِ رُحماءُ بَينَهُم تَراهُمْ رُكّعاً سُجَّداً يَبْتَغونَ فَضْلاً منَ اللهِ وَرِضواناً سيماهُمْ في وُجوهِهِم مِن أَثرِ السّجودِ، ذلكَ مَثَلُهُم في التَّوْراةِ وَمَثَلُهُم في الإنجيلِ كَزرعٍ أخرجَ شَطْأَهُ فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فَاسْتوى عَلى سُوقِه يُعجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ...... الآية ﴾ (١٠٢)

وما ورد في حديثه ﷺ: (..... إنّ الأمانة نزلت في جذر (١٠٣) قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة.... الحديث) (١٠٤).

---

(١٠٢) آية ٢٩ / سورة الفتح.

(١٠٣) الجذر، بفتح الجيم، وكسرها: وهو الأصل من كل شيء، انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، ط١، ١٤١٥/١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت، ص٢٠٧. والمراد بالرجال، الصحابة ﷺ.

(١٠٤) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ لمسلم. انظر البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، م ٨، ص١١٤، وكتاب الفتن، باب اذا بقي في حثالة من الناس، م٩، ص ٥٨، ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان، م٢، ص١٦٨.

وهذه الصفة من الأمانة والإيمان، جعلتهم خير الناس، وجعلت قرنهم خير القرون، ويشهد لذلك قوله ﷺ : (خير الناس قَرْني [١٠٥] ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) [١٠٦] .

ومعلوم أن التقوى سبب موصل للعلم، بل إنها من أعظم الأسباب لحفظ العلم، وضبط ما في الصدر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿واتّقُوا اللّهَ وَيُعَلمكُم اللّه﴾. [١٠٧]

وقد نص العلماء على معنى ما تقدم، وبينوا أثر ترك المعصية في حفظ العلم ووعيه؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما : "إنما يحفظ الرجل على قدر نيته" [١٠٨]

---

(١٠٥) قوله ﷺ (قرني): أراد بهم أصحابه عليه الصلاة والسلام.
انظر: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث، تحقيق وتعليق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، م٨، ص ٥٤٩.

(١٠٦) متفق عليه:
انظر: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، م٣، ص١٨٧، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، م٥، ص٢، وكتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، م٨، ص١٠٠، وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال أشهد بالله، م٨، ص١٤٦، وانظر مسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، م١٦، ص٨٤.

(١٠٧) آية ٢٨٢/ سورة البقرة.

(١٠٨) الخطيب البغدادي، الجامع، م٢، ص ٣١٣.

ويوضح أنس بن مالك ﷺ، أن العلم منحة من الله تعالى فيقول: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكنه نور يجعله الله في القلوب" (١٠٩).

وهذا النور من الله تعالى لا يكون إلا بالتقوى والبعد عن المعصية، ومن هنا كان العلماء من الصحابة وغيرهم يحثون على ترك المعصية من أجل الحفظ وعدم النسيان؛ قال ابن مسعود ﷺ: "إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها" (١١٠). وأجاب مالك بن "أنس من سأله عن الحفظ، ما يصلحه؟ فقال: "إن كان يصلح له شيء فترك المعاصي" (١١١).

وقد لخص الخطيب البغدادي مجمل ما تقدم بقوله: "على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها؛ من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمُزكِّين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين" (١١٢).

---

(١٠٩) الرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص ٥٥٨.
(١١٠) الخطيب البغدادي، الجامع، م٢، ص٣١٤.
(١١١) الرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص ٤٦.
(١١٢) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٤٨، ٤٩.

سادساً: توظيف ما تحملوه من الحديث قولاً وعملاً:

ما من ريبٍ أن العلم ليس مقصوداً لذاته، بل هو وسيلة للعمل الذي تزكو به النفس ويستقيم به السلوك، وإلا كان العلم وبالاً على صاحبه، فقد قال ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسْأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه) (١١٣) ولهذا فإن العلماء هم الأجدر بالخوف من الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿إنّما يَخشى اللّهَ مِنْ عباده العُلماءُ﴾ (١١٤). قال الحسن البصري رحمه الله: "الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العَمل" (١١٥). وقد نعى الله عز وجل على بني اسرائيل تركهم العمل بما جاءتهم به رسلهم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الذين حُمِّلوا التَّوْراةَ ثُمَّ لم يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً....﴾. (١١٦)؛ قال ابن كثير: "ذم الله تعالى اليهود الذين

---

(١١٣) أخرجه الترمذي في جامعة وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والآجُرّي في أخلاق العلماء واللفظ له.
انظر: الترمذي، الجامع، كتاب صفة القيامة، باب رقم ١، م٤، ص٦١٢. والآجري، أبو بكر بن الحسين بن عبد الله، أخلاق العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص٥٥.

(١١٤) آية ٢٨/ سورة فاطر.

(١١٥) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، م٢، ص١٠.

(١١٦) آية ٥/ سورة الجمعة.

أُعطوا التوارة وحُملّوها للعمل بِها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملاً حسياً، ولا يدري ما عليه..." (١١٧) ويؤيد مضمون هذه الآية أن زياد بن لبيد، ﷺ قال: "ذكر النبي ﷺ شيئاً فقال: (وذاك عند أوان ذهاب العلم)، قال: قلنا: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم الى يوم القيامة؟ قال: (ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أو ليست هذه اليهود والنصارى يقرأون التوارة والانجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء؟!) " (١١٨) .

ولهذا فقد نقل عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت؟"(١١٩) ، كما نقل عن أبي ذر ﷺ قوله: "ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات" (١٢٠) ، كما ذكر عن عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله قوله: "كنا نستعين

---

(١١٧) ابن كثير، تفسير القرآن، م٤، ص٣٦٤.

(١١٨) أخرجه أحمد بإسناد حسن. ابن حنبل، أحمد، المسند، م٤، ١٦٠، ٢١٨.

(١١٩) الآجري، أخلاق العلماء، ص ٥٧، وابن عبد البر، جامع بيان العلم، م٢، ص٢.

(١٢٠) الآجري، أخلاق العلماء، ص ٥٨، وابن عبد البر، جامع بيان العلم، م٢، ص٤.

على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم" [١٢١] وقال سفيان الثوري في هذا المعنى: "يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل" [١٢٢] وعن الحسن البصري قوله: "كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تَخَشُّعِهِ، وهديه ولسانه وبصره ويده" [١٢٣] . وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: "صاحب الحديث عندنا من يستعمل الحديث". [١٢٤]

وقد جعل الخطيب البغدادي العمل بمقتضى العلم أحد آداب الطلب، وبّوب له باباً، ثم قال: "ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن في نفسه..." [١٢٥] .

وكان قد أفرد لوجوب العمل بمقتضى العلم مصنفاً مستقلاً [١٢٦] ، كما تناول حافظ المغرب أبو عمر ابن عبد البر هذه المسألة تناولاً شافياً [١٢٧] .

---

(١٢١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، م٢، ص١١.
(١٢٢) المصدر السابق، م٢، ص١٠.
(١٢٣) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، فقرة ١٧٨، م١، ص٢١٦، وابن عبد البر، جامع بيان العلم، م١، ص١٢٧
(١٢٤) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، فقرة ١٨٦، م١، ص٢١٩.
(١٢٥) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، م١، ص ٢١٥.
(١٢٦) هو كتاب اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

"ولا شك أن العمل بالعلم يقرره في النفس أبلغ تقرير، ويؤكده فيها أقوى تأكيد، وينقشه في صحيفة الفكر أثبت نقش على نحو ما هو معروف في فن التربية وعلم النفس من أن التطبيق يؤيد المعارف، والأمثلة تقيد القواعد، ولا تطبيق أروع من العمل، ولا مثال أمثل من الاتباع خصوصاً المعارف الدينية، فإن النفس تزكو بتنفيذها، وتزداد انضباطاً باتباعها" (١٢٨) وقد كان الصحابة ﷺ مثالاً أعلى في تحقيق هذه المعاني السامية قولاً وعملاً واعتقاداً، كيف لا وهم يسمعون قوله عز وجل:﴿لَقد كانَ لكُم في رسولِ اللّه أُسْوةٌ حسنةٌ لمن كانَ يَرْجو اللّهَ واليومَ الآخِرِ﴾ (١٢٩) ، وكيف لا يكون أولئك الرعيل كذلك وهم يسمعون آيات الإيمان المرتبط بالعمل تنزل غضةً طريةً على قلب قدوتهم ومعلمهم ﷺ .

لقد كان حديث النبي ﷺ وسنته المطهرة جزءاً من حياة الصحابة الكرام العملية اليومية إضافة إلى ما يحفظونه من القرآن الكريم علماً وعملاً، "ومن استكثر على الصحابة ما يروونه من أحاديث عن النبي ﷺ فلأنه قاس مسألة روايتهم بمقياس عصره،

---

(١٢٧) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، م١، ص٦٢-٦٣، ١٢٥-١٣١، م٢، ص١-٢٣.
(١٢٨) الزرقاني، محمد عبد العظيم، م١، ص٣٠٤، وانظر كلاماً شبيهاً في: الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث علومه ومصطلحه، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ص٦١.
(١٢٩) آية ٢١/ سورة الأحزاب.

لا بمقياس عصرهم هم؛ ذلك أن تصورنا نحن لهذه الأحاديث هو أنها علمُ فقط، نستكثر عليهم حفظه، ولم يقع في خواطرنا أنها كانت تشكل بالنسبة للصحابة الكرام واقعاً يعيشونه، وشريعة يطبقونها في مجريات حياتهم" (١٣٠) . من أجل ذلك نَفْهَمُ سرّ مكوث ابن عمر رضي الله عنهما ثماني سنين على سورة البقرة يتعلمها، (١٣١) وتعلّمه اياها لم يكن حفظها فقط؛ وانما العمل بما جاء فيها. وفي هذا المعنى الدقيق يقول أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: "حدثنا الذين كانوا يقرؤننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً"(١٣٢) .

وهكذا كان توظيف الصحابة الكرام ما سمعوه من رسول الله ﷺ على نفوسهم له الأثر الواضح في تفوقهم في ضبط الحديث النبوي الشريف.

---

(١٣٠) جرى الحديث حول مضمون هذا النص مع الزميل د. حمزة المليباري في احدى جلسات المذاكرة فيما بيننا يوم الاربعاء ٩٦/١٢/١١.

(١٣١) أخرجه مالك بلاغا، الموطأ، بترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، م١، ص٢٠٥.

(١٣٢) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع المصري، الطبقات الكبرى،دار صادر، بيروت، ١٩٨٥، م٦، ص١٧٢، والذهبي، سير أعلام النبلاء، م٤، ص٢٦٩،٢٧١.

سابعاً: تثبتهم في رواية الحديث

نهج الصحابة ﷺ منهجاً ربانياً قويماً في المحافظة على حديث النبي ﷺ ، وقد تمثل ذلك في شدة احتياطهم عند الرواية، وفي تثبتهم في قبول ما يسمعون من بعضهم. ولا شك أن هذا المظهر من مظاهر الحذر والاحتياط قد أدى الى حراسة السنة المشّرفة من أن يتسرب إليها ما ليس منها.

إن ربانية هذا المنهج قد جاءت عند نزول قوله تعالى: ﴿يا أَيها الذين آمَنوا إنْ جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيّنوا أنْ تُصيبوا قَوْماً بِجَهالَةٍ، فَتُصْبِحوا عَلى ما فَعَلْتم نادمينَ﴾ [١٣٣]. إن التثبت في كل ما يُسمع أو يُنقل علامة بارزة على رجحان العقل ونضوجه، ولهذا فإن الله سبحانه قد بيّن أن قبول الخبر من غير تثبت قد يؤدي إلى إصدار أحكام مبنية على مقدمات من الجهالة. وإن هذا الخطاب الإلهي الكريم ليعّد أصلاً أصيلاً في وجوب التثبت مهما كانت الثقة بالناقل. قال ابن سيرين: "التثبت نصف العلم"[١٣٤]

من أجل ذلك؛ كان أصحاب رسول الله ﷺ مثالاً راقياً في الأخذ بهذا المنهج السديد، وفي هذا المعنى يقول الزرقاني: "إن الناظر في تاريخ الصحابة لَيَرُوعُهُ ما يعرفه عنهم في تثبتهم أكثر

---

(١٣٣) آية ٦/ سورة الحجرات.

(١٣٤) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص٢٥٧.

مما يَرُوعُهُ ما يعرفه عنهم في حفظهم"، [١٣٥] ثم إنه جعل مردّ ذلك؛ أن التثبت فضيلة ترجع إلى الأمانة الكاملة والعقل الناضج...." [١٣٦].

والتثبت في قبول الأخبار جعل في الصحابة من يرحل المسافات البعيدة من أجل سماع حديث واحد، والتأكد من روايته عن راويه، ولهذا فقد بوّب البخاري في كتاب العلم من صحيحه: "باب الخروج في طلب العلم"، [١٣٧] وعلّق الأثر الذي يفيد أن جابر ابن عبد الله الأنصاري، رضي الله عنهما قد رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه في حديث واحد [١٣٨]، كما رحل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه في حديث[١٣٩]، ويبدو أن كثيراً من الصحابة قد رحل لهذا الغرض حتى قال ابن حجر رحمه الله: "وتتبع ذلك يكثر" [١٤٠].

لقد استقر منهج التثبت في الرواية في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، حتى قال الذهبي: "كان أبو بكر

---

(١٣٥) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، م١، ص٣٠٩.
(١٣٦) المصدر السابق.
(١٣٧) البخاري، الجامع الصحيح، م١، ص٢٥.
(١٣٨) المصدر السابق.
(١٣٩) ابن حنبل، المسند، م٤، ص١٥٣.
(١٤٠) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، م١، ص١٧٥، وان شئت التوسع فانظر كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.

أول من احتاط في قبول الأخبار" (١٤١) ، وقصته مع الجـدة التـي جاءته تلتمس ميراثها مشهورة (١٤٢) ، ثم نسج على منواله وحـذا حذوه عمر بن الخطاب، ﷺ ، واشتهر عنه التثبـت فـي قبـول الإخبار. قال ابن حبّان: "حتى أنكر كثرة الرواية لئلا يجترىء ممن ليس في الإسلام محلّه كمحلّ الصحابة، فيكثروا الرواية، فيزلّـوا فيها، أو يقول متعمّدٌ عليه ﷺ لنوالِ دنيا" (١٤٣) ، وفي هذا المعنى يقول ابن حبان أيضاً: "إن عمر كان يطلب البيّنة من الصحابة على ما يروونه عن رسول الله ﷺ مخافة الكذب، لئلا يجتـرىء مـن بعدهم، فيروي عن النبي ﷺ ما لم يَقُلْهُ" (١٤٤)، وقـصة الفـاروق ﷺ مع أبي موسى الأشعري ﷺ في استئذانه عليه ثلاثاً مشهورة (١٤٥) ، غير أن من اللطيف أن نشير إلى جواب عمر حين قال أبيٌّ ابن كعب ﷺ : "يا ابن الخطاب! لا تكن عذاباً علـى أصـحاب رسول الله ﷺ "، فقال عمر ﷺ : "سبحان الله ! إنما سمعت شيئاً

---

(١٤١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ص٢.

(١٤٢) أخرجه أبو داود، ومالك، وإسناده صحيح، أبو داود، السنن، كتـاب الفرائض، باب في الجدة، م٣، ص٣١٦، مالك بن أنـس، الموطـأ، كتـاب الفرائض، باب ميراث الجدة، م٢، ص٥١٣. وانظر التعليق عليـه لمعرفـة المزيد من المصادر التي اخرجته.

(١٤٣) ابن حبّان، كتاب المجروحين، الديباجة، م١، ص٣٦.

(١٤٤) المصدر السابق، ص ٣٧.

(١٤٥) مسلم، الجامع الصحيح، كتـاب الآداب، بـاب الاسـتئذان، م١٤، ص١٣٠.

فأحببت أن أتثبت" [١٤٦] ، وقوله ﷺ : "أحببت أن أتثبت" يدل على منهجيته الدقيقة عند سماع الحديث.

وأما علي بن أبي طالب، ﷺ فقد اشتهر عنه أنه قال: "إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته...." [١٤٧]

والآثار عن الصحابة في اتباع منهج التثبت كثيرة، ومن المناسب أن نورد هنا قول الذهبي رحمه الله: "إن مراد الصديق - ﷺ هو - التثبت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية" [١٤٨] ، كما قال الدكتور محمد عجاج الخطيب: "وهذا لا يعني أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث أن يرويه راويان فأكثر، أو أن يشهد الناس على الرواي، أو أن يُستخلف، بل كان الصحابة يتثبتون في قبول الأخبار، ويتبعون الطريقة التي ترتاح لها ضمائرهم مخافة الخطأ في الرواية وحرصاً على الضبط والإتقان حين التحديث" [١٤٩] .

---

(١٤٦) المصدر السابق، ص ٣٧.

(١٤٧) أخرجه الترمذي، بإسناد حسن، الجامع، أبواب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، م٢، ص ٢٥٧.

(١٤٨) الذهبي، تذكرة الحفاظ، م١، ص ٣.

(١٤٩) الخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، ص٩١.

لقد أدى منهج التثبت هذا إلى حمل الصحابة على الاعتدال في الرواية، حتى آثر بعضهم الاقلال منها احتراماً للحديث (١٥٠) ، وتحرجاً أن يقع الواحد منهم في خطأ النقل عن النبي ﷺ من حيث لا يعلم هذا الناقل، ولهذا فقد قال عبد الله بن الزبير، قلت للزبير: "إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان، قال: أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته يقول: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار". (١٥١)

قال الحافظ ابن حجر: "إن الزبير خشي من الإكثار أن يقع في الخطأ وهو لا يشعر... فمن ثم توقف الزبير وغيره من الصحابة عن الإكثار من التحديث" (١٥٢) . وقد نقل مثل هذا النهج عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١٥٣) ، قال ابن حجر: "ومع ذلك فأنس من المكثرين، لأنه تأخرت وفاته، فاحتيجَ إليه، ولم يمكنه الكتمان"(١٥٤)، كما نقل أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه حينما سألوه أن يحدثهم عن

---

(١٥٠) الزرقاني، مناهل العرفان، م١، ص٣٢٥، والخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، ص ٨٤، بتصرف يسير.
(١٥١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، م١، ص٣٣.
(١٥٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، م١، ص٢٠١.
(١٥٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، م١، ص٣٣.
(١٥٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، م١، ص٢٠١.

رسول الله ﷺ، فقال: "كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد" [(١٥٥)] وأما ابن عباس رضي الله عنهما فيبدو أنه قد نهج أيضاً هذا النهج، حيث قال: "إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه"[(١٥٦)] وقد يُستشكل مضمون هذا النص سيما وأن ابن عباس معدود في المكثرين، والجواب على ذلك كالجواب الذي أورده ابن حجر عن إكثار أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهكذا يتضح لنا أن أصحاب النبي ﷺ قد صانوا الحديث النبوي الشريف باحتياطهم في روايته واستيثاقهم في قبوله، حتى غدا نهجهم ذاك يحتذيه من جاء بعدهم. وبناء عليه فإنهم بحق؛ الأوائل في إرساء قواعد منهج المحدثين في الرواية وما يتبعها من علوم الحديث اللازمة لها.

ثامناً : عناية بعض الصحابة بأحاديث موضوعات خاصة

عرف عن بعض الصحابة شدة الاهتمام بأحاديث ذات علاقة بموضوعات معينة لسبب من الأسباب، فهذا عدي بن حاتم،

---

(١٥٥) أخرجه أحمد بن حنبل، بإسناد صحيح، المسند، م٤، ص٣٧٠.

(١٥٦) مسلم، الجامع الصحيح، المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، م١، ص٨٠ ومن المناسب أن مسلما خرج هذا الأثر في باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، وهذا الصنيع من مسلم رحمه الله، يؤكد معنى التثبت الذي انتهجه الصحابة في رواية الحديث.

رضي الله عنه كان له مزيد اعتناء بأحاديث الصيد، ذلك أن بلاد هذا الصحابي كانت بيئة صيد، وقد فرضت عليه مهنة الصيد هذا الإلحاح في السؤال عما يجوز أكله من الصيد مما لا يجوز. وقد أبان هذا الصحابي عن سبب عنياته تلك بقوله : سألت رسول الله ﷺ فقلت : "إن أرضنا أرض صيد ..."(١٥٧) الحديث.

وفي بعض الطرق قوله : يا نبي الله إنا أهل صيد ..."(١٥٨) الحديث.

فقوله : "إن أرضنا أرض صيد" يدل على السبب الباعث على سؤاله النبي ﷺ عن هذا الموضوع الذي كان يشكل مهنته ويعبر عن حاجته.

وهذا أبو ذر، ﷺ نجد له مزيد اهتمام وعناية بالأحاديث التي تناسب خلق الزهد الذي كان يتحلى به، وقد بلغ هذا الاهتمام إلى حد أن أحاديث الزهد والرقائق وفضائل الأعمال وثوابها كانت تشكل معظم رواياته ﷺ حتى لمس النبي ﷺ وأصحابه في شخصيته هذا التوجه لحفظ مثل هذه الروايات.

أما حذيفة بن اليمان، ﷺ فقد كان شديد العناية أيضاً بسؤال رسول الله ﷺ عن الفتن، وعن المنافقين، وعما سيكون من الأمور الآتية.

---

(١٥٧) أحمد، المسند ٣٧٧/٤.

(١٥٨) المصدر السابق ٢٧٩/٤.

وقد روى البخاري من طريق حذيفة قوله : "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني"[(١٥٩)] .

قال ابن أبي جمرة معلقاً على قول حذيفة هذا : "في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها، ويبلغوها غيرهم، وحبب إلى حذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه، ويكون سبباً في دفعه عمن أراد الله له النجاة"[(١٦٠)] .

وقال ابن حجر معلقاً : "ويؤخذ منه أن كل من حبب إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره، حتى خص بمعرفة أسماء المنافقين وبكثير من الأمور الآتية"[(١٦١)] .

وأما ابن عباس، رضي الله عنهما فقد كان له هو الآخر اعتناء بحفظ الأحاديث ذات الصلة بتفسير كتاب الله عز وجل. وواضح أن ذلك كان ترجمة حقيقية لدعاء النبي ﷺ له، فقد روى

---

(١٥٩) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، م٩، ص٥٧.

(١٦٠) ابن حجر، فتح الباري، م١٣، ص٣٧.

(١٦١) المصدر السابق.

البخاري من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قوله : "ضمني رسول الله ﷺ، وقال : اللهم علمه الكتاب"[١٦٢] .

قال الحافظ ابن حجر معقباً : "وهذه الدعوة مما تحقق إجابة النبي ﷺ فيها، لما عُلِم من حال ابن عباس في معرفة التفسير والفقه والدين ﷺ"[١٦٣] .

وقد أدى اهتمام ابن عباس بكتاب الله العزيز إلى سموّ مكانته عند كبار الصحابة رغم صغر سنه بالنسبة لأسنانهم.

قال الحافظ ابن حجر : "كان عمر يقدمه مع الأشياخ، وهو شاب"[١٦٤] .

تاسعاً : ملازمتهم لرسول الله ﷺ

عرف عن الصحابة رضي الله عنهم حبهم لرسول الله ﷺ، وشدة ملازمتهم له، وقربهم من مجلسه، وهذه الملازمة مكنتهم من تحمل الكثير من حديثه ﷺ، ومنحتهم قوة في الحفظ والضبط، حيث من المسلّم به عند المحدثين؛ أن من أسباب ضبط التلميذ لأحاديث شيخه، وتفوقه على غيره في ذلك، شدة ملازمته لمن روى عنه،

---

(١٦٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ : "اللهم علمه الكتاب"، م١، ص٢٥.

(١٦٣) ابن حجر، فتح الباري، م١، ص١٧٠.

(١٦٤) المصدر السابق، م٧، ص١٠٠.

وقد ورد عن الصحابة آثار كثيرة تؤيد ذلك، وتبين أن الصحابة في معظم وقتهم كانوا معه ﷺ؛ طمعاً في فضل الصحبة، وطلباً للعلم، وتحصيلاً للخير، ولم يكن يقطعهم عن الملازمة إلا أمر حياتهم وطلب معاشهم، وقصة عمر ﷺ مع جاره الأنصاري في بني أمية ابن زيد، خير شاهد على ذلك، حيث اتفقا على أن ينزل كل منهما يوماً على رسول الله ﷺ، فإذا نزل عمر حمل لجاره خبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل جاره فعل مثل ذلك[١٦٥] .

وورد عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه مر بأبي هريرة ﷺ، وهو يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : (من تبع جنازة فصلى عليها فله قيراط، فإن شهد دفنها فله قيراطان، القيراط أعظم من أحد) فقال له ابن عمر : "أبا هريرة، انظر ما تحدث عن رسول الله ﷺ !؟"، فقام إليه أبو هريرة؛ حتى انطلق إلى عائشة، فقال لها : "يا أم المؤمنين ! أنشدك بالله؛ أسمعت رسول الله ﷺ يقول : (من تبع جنازة .... الخ)؟" فقالت : "اللهم نعم"، فقال أبو هريرة : "إنه لم يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس الودي[١٦٦] ، ولا صفق

---

(١٦٥) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب التناوب في العلم، م١، ص٢٩.

(١٦٦) الودي : فسيل النخل وصغاره، واحدتها ودية.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مادة ودى، م٢٠، ص٢٦٤.

بالأسواق، إني إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمة يعلمنيها، وأُكلة يطعمنيها". فقال ابن عمر : "أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ، وأعلمنا بحديثه"[١٦٧] .

فهذه القصة مع الحوار بين أبي هريرة وابن عمر، وتصريح ابن عمر في نهاية الأمر؛ بأن أبا هريرة كان ألزمهم لرسول الله ﷺ وأعلمهم بحديثه، كل ذلك يدل على أن شدة الملازمة سبب إلى التفوق في الحفظ والضبط، وكان أبو هريرة ﷺ قد بين سبب تفوقه فقال : "إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله ﷺ، والله الموعد[١٦٨]، إني كنت امرءاً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني[١٦٩] ... الخ"[١٧٠] .

---

(١٦٧) أخرجه الترمذي مختصراً، وأحمد واللفظ له بإسناد حسن.

الترمذي، السنن، كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه، م٥، ص٦٨٤، وأحمد، المسند، م٢، ص٢.

(١٦٨) والله الموعد: أي يحاسبني إن تعمدت كذباً، ويحاسب من ظن بي السوء.

النووي، شرح صحيح مسلم، م١٦، ص٥٤.

(١٦٩) ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني : أي ألازمه قانعاً بقوتي، ولم أكن أجمع مالاً لذخيرة.

المصدر السابق، ص٥٣.

(١٧٠) متفق عليه.

ولم ينف ابن عمر في قوله السابق (أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ)، ملازمتهم لرسول الله ﷺ، بل إن عبارتـــه تبين بجلاء أن الصحابة كلهم كانوا ملازمين لرسول الله ﷺ، ولكن أبا هريرة بسبب انقطاعه عن العمل بمقابل الصحبة، تميز علـــى غيره من الصحابة، وفاقهم في جانب الملازمـــة لرســـول الله ﷺ، حتى كان أكثرهم حفظاً وأفضلهم ضبطاً.

وهكذا كان شأن الصحابة رضي الله عـنهم، فقـد كـان لملازمتهم رسول الله ﷺ الأثر الواضح فـــي حفظهـــم وضـــبطهم وإتقانهم للحديث، وتفوقهم على من جاء بعدهم في ذلك.

البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، م٩، ص١١٨، ومسلم، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي هريرة، م١٦، ص٥٢.

المطلب الخامس: أسباب عامة

أولا: مذاكرة الحديث

اعتنى الصحابة ﷺ بمذاكرة الحديث؛ لتثبيت ما تحملوه، وضبط ما سمعوه، وحفظ العلم الذي تلقوه عن رسول الله ﷺ، فكانوا بحق ورثة النبي ﷺ، وكانوا أوعية العلم التي صانت حديثه ﷺ، وأبقت عليه سليماً نقياً كما صدر عنه ﷺ. فلم يقصِّروا في صون الحديث ورعايته، ولم يتهاونوا في تبليغه وأدائه، حتى امتدحهم من جاء بعدهم، وأثنى عليهم أهل العلم الذين أخذوا عنهم، قال مجاهد: "العلماء أصحاب محمد ﷺ". (١٧١)

وقد وردت عنهم ﷺ آثار تبين حرصهم على مذاكرة الحديث، وعنايتهم باستظهاره، ومن ذلك:

١- ما قاله أنس ﷺ: "كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث، فاذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه". (١٧٢)

٢- وما ورد عن أبي هريرة ﷺ أنه كان يجزىء الليل ثلاثة أجزاء، جزء للقرآن، وجزء للنوم، وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله ﷺ. (١٧٣)

---

(١٧١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم، م٢، ص٢٩.

(١٧٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، م١، ص ١٦٩.

٣- وما نقله الزبير بن بكار قال: "وكان ابن عمر يتحفظ [١٧٤] ما سمع من رسول الله ﷺ ، ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله .... الخ" [١٧٥] .

ولم يقتصر الأمر على مذاكرة الصحابة أنفسهم للحديث، بل تعّداه الى وصية تلامذتهم ومن جاء بعدهم أن يعتنوا بالمذاكرة وأن يتعهدوا الحديث حتى لا يضيع بنسيانه. قال علي ﷺ : "تزاوروا وتذاكروا الحديث، فإنكم إن لا تفعلوا يدرس". [١٧٦]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : "تذاكروا الحديث لا يتفلت منكم". [١٧٧]

وبمثل قول علي وابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود [١٧٨] وأبو سعيد الخدري [١٧٩] رضي الله عنهما ، فبيَّنا أن

---

(١٧٣) أبو الخير الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، م٣، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، م١، ص٣٧٠.

(١٧٤) يتحفظ: أي يستظهر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حفظ، م٩، ص٣٢١.

(١٧٥) ابن حجر، الإصابة، م٢، ص٣٤٩.

(١٧٦) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ثابت، شرف أصحاب الحديث، تحقيق محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، ص ٩٤، والرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص ٥٤٥، والحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ١٤١.

(١٧٧) الرامهرمزي ، المحدث الفاصل، ص ٥٤٧.

مذاكرة الحديث سبب حياته، وبقائه في الصدر، وتخليصه من آفة النسيان. وقد لخص ابن الصلاح أثر المذاكرة في الحفظ فقال: "ثم إن المذاكرة بما يتحفظه من أقوى أسباب الإمتاع به" (١٨٠)

ثانياً: كتابة الحديث

علينا أن لا نغفل موضوع كتابة الحديث عند الكلام على ضبط الصحابة، حيث كانت بداية كتابة الصحف في عهده ﷺ ، وكان الأمر لمن لم يحفظ بأن يستعين على حفظ وضبط ما سمع بالكتاب. وتعد الصحف التي دونت في حياته ﷺ من أضبط ما روي عنه ومن أتقنه بسبب الأخذ من فيه عليه الصلاة والسلام وقت الأداء.

وهذه الكتابة وان لم تكن للحديث كله، إلا أنها كانت من الأسباب التي أعانت الصحابة على حفظ الحديث وضبطه، ولا يتسع المقام لاستعراض جميع الأحاديث والأخبار التي وردت بشأن كتابة الحديث في عهده ﷺ ، وما وقع من الصحابة في هذا

---

(١٧٨) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٩٤، والحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ١٤١.

(١٧٩) الرامهرمزي ، المحدث الفاصل، ص ٥٤٥ والخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٩٥ ، والحاكم النيسابوري، معرفة علوم الحديث، ص ١٤٠.

(١٨٠) ابن الصلاح، المقدمة ومعها محاسن الاصطلاح ، ص ٧٣٤.

الأمر [١٨١] ، ولكن تكفي الإشارة إلى أن بعض الصحابة رضي الله عنهم، ضبطوا الحديث بالكتاب، وحفظوه بالتدوين، وهذا ما يعرف عند المحدثين بضبط الكتاب. قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش، فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر؛ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول ﷺ ، فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلاّ حق). [١٨٢]

فقوله رضي الله عنه "أريد حفظه" ، يدل على أثر الكتابة في الحفظ، وأهميتها في تثبيت العلم. ثم إن ما كتبه عبد الله كان من أعزّ ما يملك في الدنيا، لأنّ ما كتبه عن النبي ﷺ ليس بينه وبين النبي ﷺ فيه أحد.

قال مجاهد: "أتيت عبد الله بن عمرو فتناولت صحيفة من تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً؟ قال: هذه

---

(١٨١) للتوسع، انظر : الخطيب البغدادي ، كتاب تقييد العلم، والأعظمي ، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، وامتياز أحمد، دلائل التوثيق المبكر للسنة والحديث.

(١٨٢) أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما، وإسناده حسن.
أبو داود ، السنن، كتاب العلم، باب في كتاب العلم، م ٤، ص ٦٠، وابن حنبل، أحمد، المسند، م٢ ، ص ١٦٢، ١٩٢.

الصادقة، اذا سلمت لي هذه، وكتاب الله تبارك وتعالى، والوهط [١٨٣] ، فما أبالي ما كانت عليه الدنيا". [١٨٤]

وقد بين أبو هريرة تميز عبد الله بن عمرو عنه بالكتابة، لأنه لم يكن يكتب، فقال: "ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله ﷺ مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فانه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه، وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي، واستأذن رسول الله ﷺ في الكتاب عنه فأذن له" [١٨٥]

وهذا أنس بن مالك ﷺ يعتني بكتابة الحديث، وكان يحفظ ما كتبه في مخلاة [١٨٦] ؛ يخرجها لمن طلب الزيادة [١٨٧] . ومما يدل على عنايته بالكتابة، ما رواه مسلم وغيره أن أنساً أعجبه

---

(١٨٣) الوهط : مال كان لعمر بن العاص، وقيل: كان لعبد الله بن عمرو بن العاص بالطائف، وقيل موضع، وقيل: قرية بالطائف، وكان الكرم المذكور بها. انظر: ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث، م ٥ ، ص ٣٢.

(١٨٤) الخطيب، تقييد العلم، ص ٨٤.

(١٨٥) أخرجه أحمد بن حنبل، بإسناد حسن، المسند ، م٢ ، ص ٣٠٤.

(١٨٦) المخلاة : هي الوعاء الذي يوضع فيه الخلى وهو الرطب من الحشيش الذي يحتش من بقول الربيع. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة خلا ، م١٨ ، ص ٢٦٦.

(١٨٧) الرامهرمزي ، المحدث الفاصل، ص ٣٦٧ ، والخطيب ، تقييد العلم، ص ٩٥.

حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه، فقال لابنه: "اكتبه"، [188] وكان لا يعدُّ علم من لم يكتب علماً صحيحاً. [189]

ولأهمية الكتابة في حفظ الحديث وضبطه، أوصى الصحابة رضي الله عنهم من جاء بعدهم بالحرص على الكتابة والاعتناء بها، ويؤيد ذلك:

١- قول عمر رضي الله عنه: "قيدوا العلم بالكتاب". [190]

٢- وقول ثمامة بن عبد الله، أن جده أنساً كان يأمر بنيه أن يقيدوا العلم بالكتاب. [191]

وقد علق يوسف العش على رأي من يقول إن الصحابة والتابعين كانوا لا يكتبون الحديث اعتماداً على حفظهم، فقال: "ولئن كان هذا الرأي يفخر بالحافظة العربية التي لا تَحْفل بالتقييد، لأن لها من قوتها ما يسعفها بالتقاط العلم وعدم نسيانه، فهو ييسر سبيل الطعن على علم العرب؛ فذاكرة أكثر الناس أضعف من أن تتناول مادة العلم، بأجمعه فتحفظها من الضياع وتقيها من الشرود،

---

(١٨٨) مسلم ، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب جواز كتابة العلم، م١ ، ص ٢٤٢. والرامهرمزي ، المحدث الفاصل، ص ٣٧ ، والخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٩٤.

(١٨٩) الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ص ٩٧.

(١٩٠) الرامهرمزي ، المحدث الفاصل، ص ٣٧٧ ، والخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص ٨٨. وابن عبد البر، جامع بيان العلم، م١، ص ٧٢ .

(١٩١) الرامهرمزي، المحدث الفاصل، ص ٣٦٨.

ومهما قويت عند أناس فلا بد أن تهن عنـد آخـرين؛ فتخـونهم وتضعف معارفهم، هذا والعلم يأبى الخيانة، ويبتغي الإخلاص، فلا نصير له إلا التقييد، ولا حافظ له من الضياع إلا التدوين" [١٩٢] .

وكان الأعظمي قد بنى كتابه (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه) على هذا المحور، وحشد كل نص وقع عليـه بـصره، أو وصل اليه علمه لتأكيد مسألة كتاب الحديث وعدم انقطاعه منذ عهد النبي ﷺ .

---

(١٩٢) العش، يوسف، تصدير كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي، ص٨.

الخاتمة

بعد أن يسّر الله تعالى إنهاء هذا البحث، فإننا نود أن نسجل أهم النتائج التي تتلخص بالآتي:

١- الطعن في الصحابة ﷺ سبب يؤدي إلى الطعن في السنة، ذلك أن الصحابة يمثلون الواسطة بين النبي ﷺ وبين المسلمين، واختيار الصحابة للطعن فيهم، أو التشكيك في مروياتهم؛ اختيار لأقوى حلقة في الأسانيد، بقصد إتيان بناء الإسلام من قواعده، والطعن في جنس الحديث الشريف، لتقل هيبته وتنزل مكانته التي شرفها الله وأعلاها.

٢- إن الصحابة ﷺ توافرت لهم ظروف وأسباب لم تتوافر لغيرهم جعلتهم أشد ضبطاً، وأكثر إتقاناً لرواية الحديث.

٣- لم يدرك أعداء السنة المشرفة، أسباب ضبط الصحابة الكرام العائدة لشخص رسول الله ؛ كبركة دعائه لبعضهم بالحفظ، ولم يدركوا الأسباب التي تعود لواقع الصحابة؛ حيث كانت السنة المشرفة تمثل ثقافة واقعهم العملية.

٤- توثيق الصحابة الكرام؛ يمثل خط الدفاع الأول عن الكتاب والسنة، وأصول الإسلام، وهو كذلك تقدير لحكمة الله البالغة في اصطفائهم لمهمة البلاغ عن رسول الله ﷺ .

٥- السهو، والخطأ، والنسيان، طبيعة الإنسان، غير أن المسموع من الروايات في المسائل التشريعية الخاصة بالوحي، محروسٌ بعناية الله عز وجل في طبقة الصحابة.

٦- كان للأسلوب الذي انتهجه النبي ﷺ في تعليم أصحابه وتبليغهم الدعوة ؛ أثر كبير في تثبيت الحفظ وضبط الحديث.

٧- قرب عهد الصحابة بالوحي، وعلو سندهم؛ يسّر لهم من الضبط ما لم يتيسر لغيرهم من الرواة.

٨- هناك العديد من القرائن التي حفت بالوقائع في عهد النبوة، أكسبت الصحابة الكرام ضبطاً منقطع النظير.

٩- صفاء فطرة الصحابة، وسيلان أذهانهم، وبعدهم عن تعقيد الحياة؛ كل ذلك كان له أثر بالغ في حفظ ما يسمعون وضبط ما يشاهدون من رسول الله ﷺ .

١٠- إن الصحابة الكرام، ﷺ هم أتقى الناس بعد رسول الله ﷺ وقد عدّلهم الله عز وجل في كتابه العزيز، ولذا فإن الغمز فيهم لا يزيدهم إلا رفعة وطهراً.

١١- يُعدّ الصحابة الكرام أول من أرسى القواعد الاساسية ورسم الخطوط العريضة لعلوم الحديث، كالتثبت في الرواية، والعمل بمقتضى العلم، والتبليغ عن رسول الله ﷺ ، وغير ذلك.

١٢- عرف الصحابة الكرام كتابة الحديث؛ ومارسوا ذلك على نطاق ناسب معطيات عصرهم جنباً إلى جنب مع حفظه في الصدور، غير أن الافتخار بحافظتهم ﷺ بحسن نية، ومقصد نبيل؛ قد يسّر سبيل الطعن في ضبطهم، لأن ذاكرة الإنسان مهما كانت قوية؛ فإنها أضعف من أن تتناول العلم بأجمعه. وبناء على ذلك فإنه لا بد من الإقرار بأن الكتابة ؛ كانت من أقدم الوسائل المستخدمة في ضبط الحديث، حيث لم تنقطع منذ عهد النبي ﷺ .

رَفْعُ

عبد الرَّحمن النَّجْدِيّ

أسكنه اللهُ الفِردوس

ملخص البحث

أسباب تفوق الصحابة ﷺ في ضبط الحديث

بحث مقدم من

د. سلطان سند العكايلة و د. "محمدعيد" محمود الصاحب

أجاب هذا البحث بإيجاز مفصل عن سؤال يرد على الأذهان حول مسألة هامة في ميدان رواية الحديث، إن لم تكن أهم مسائل هذا الميدان، هذه المسألة هي ضبط الحديث عند الصحابة. وصورة السؤال: أن الصحابة ما داموا كغيرهم من الناس يجوز عليهم الخطأ والنسيان، ويشملهم مسمى "رواة الحديث"، وأنّ علماء النقد قديماً قد عرفوا عيوب الرواية في عامّة الرواة، ووضعوا لفن الرواية قواعده وأسسه، فما البأس في أن نجري على الصحابة هذه الأحكام، وأن نزنهم بذاك الميزان الذي نزن به جميع الرواة؟

لقد جاء هذا البحث بفقراته المتسلسلة إجابة عن هذا السؤال؛ الذي تبين من خلاله أن الصحابة ﷺ تهيأت لهم أسباب وظروف مكنتهم من حفظ الحديث، وجعلتهم أشدّ ضبطاً، وأكثر اتقاناً لرواية الحديث، حتى غدت صورتهم في هذا الميدان نقية سليمة، أرفع من أن تنالها مغالطة المغالطين، أو أن يطالها تحريف الضالين.

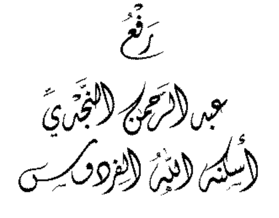
The Reasons of the Companions Superiority In Tradition Checking

Abstract

This study gives a clear answer to what may bear in minds regarding the companions' checking of the accounts, that the Companions are among the marrators of the chain of the account, therefore, what prevent us from searching them according to the tules put by Traditionalists, the same of other narrators?

The study concluds that the companions are distinguished among other narrators, that there are some reasons and occasions which enabled them to memorize the accounts, and to be more cautious in relating the accounts amatter which gives them an excellent view which led to put them beyond such searching.

by: Dr. Sultan Sanad al- Akayleh
Dr. Muhammad Eid al- Sahib



فهرس الموضوعات





هذا الكتاب

أردناه أن يكون إجابة عن سؤال خطير، صورته أن الصحابة رضي الله عنهم ما دام أنهم كغيرهم من الرواة يجوز عليهم ما يجوز على سائر الناس من الوهم أو الخطأ أو النسيان، فما البأس أن نُعمِلَ فيهم قوانين الرواية وقواعد المحدثين في النقد، وأن نزن حفظهم بتلك المعايير التي نزن بها ضبط جميع الرواة.

إن الصحابة رضي الله عنهم هم الحلقة الأولى في سلسلة الإسناد، وهم الأقرب بأسماعهم وأبصارهم إلى رسول الله ﷺ، فضلاً عن أنه قد تهيأت لهم أسباب متعددة وظروف خاصة مكنتهم من التفوق في ضبط ما سمعوا من رسول الله ﷺ حتى غدت صورتهم في هذا الميدان فوق مغالطة المغالطين أو زعم المبطلين.

المؤلفان



دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع
عمان _ العبدلي _ عمارة الددو
تلفاكس: ٥٦٨٤٠٩٢ ص.ب: ٩٢٧٤٣١ عمان: ١١١٩٠
E.Mail: daribnaljawzi@yahoo.com